الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة سعيدة - الطاهر مولاي
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

تخصص :دراسات نقدية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر موسومة بـ :

فلسفة المكان في الشعر العربي القديم

" دراسة سيميائية"

إعداد الطالبة:
- سغواني إيمان

إشراف الأستاذ:
د. عبو عبد القادر

لجنة المناقشة		
الرتبة	المؤسسة	الصفة
د.دبن العربي	جامعة سعيدة	رئيسا
د. عبو عبد القادر	جامعة سعيدة	مشرفا ومقررا
د. عبيد نصر الدين	جامعة سعيدة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1443هـ - 1442هـ /2022 م - 2021م

إهـــــــداء

إلي اليد الطاهرة التي إزالت من إمامنا إشواك الطريق ورسمت

المستقبل بخطوط من الامل والثقة وإعطتنا من دمها وروحها وعمرها

شكر وعرفان

مقدمة

مقـــدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلاة والسلام على معلم الناس،سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ومن سار على دربه ونهجه واقتفى أثره.

يكاد يكون المكان في القصيدة الجاهلية أو الشعر الجاهلي من أهم الركائز التي تتكون منها القصيدة،ولنا أن نصف على الشعر الجاهلي بالشعر المكاني،لأن كل شيء يحدث في مكان لا فكاك منه.

فالمكان وثيق الصلة بالشعر والشعراء منذ القدم،فهو حاضن للوجود الإنساني على مر العصور،وتشكيل المكان يعد من العناصر المهمة في النص الأدبي،فقد امتاز الشعر العربي منذ القدم لكونه شعرا مكانيا بارتباطه بالبيئة التي أنتجته،والإنسان الذي أبدعه وجب النظر إليه نظرة جمالية خاصة،وإني أجد تمييز ظاهرة الوصف في شعرنا العربي القديم بصورها الجمالية سواء في وصف الأطلال والطبيعة والصحراء فكان لها الارتباط المباشر بالمكان،فمن خلاله يستعيد الشاغر ذكرياته وأيامه ومواقفه،ومن هنا ظهرت أهمية المكان عند الكثير من الباحثين القدماء والمحدثين وذلك لارتباطه بالإنسان من جهة وجوده في العديد من المجالات والميادين المعرفية والعلمية من جهة أخرى.

يرى بعض هؤلاء العلماء أن المكان يعني بدء تدوين التاريخ الإنساني والارتباط الجدري بفعل الكينونة لأداء الطقوس اليومية للعيش والوجود ولفهم الحقائق الصغيرة لبناء الروح،وللتراكيب المعقدة والخفية بصياغة المشروع الإنساني بين الأفعال المبهمة.

فعلاقة الشاعر بالمكان ذات أبعاد متعددة يستحضر الواقعي والخيالي والوهمي ويكفي أن الشاعر يعيش في المكان على مستوى الوجود الحقيقي ويسبح في المكان في عالمه الشعري،فيستحضر المكان من المعرفة الثقافية ويقيم لنفسه وجودا فيه ولما كان الشعر العربي شعر مكاني،والإنسان الذي أبدعه كان لزاما على الدرس الأدبي أن يلتفت إلى المكان فيه نظرة لا تحكمها التابعية فتحصر المكان في بعض المظاهر الثانوية أو تتخطاه لمجرد ذكره بعبارات خلى استعمالها وخوت دلالتها وصدى أن مختلف المعاني والعادات القولية و الفعلية والأخلاق والسلوك.

مقـــدمة:

فإذا انتقلنا إلى المكان بكونه عالما من الأرواح والقوة الغيبة فالبدائي عمل على إرضاء المكان بممارسة طقوس معينة عليه يحضى برضاها باعتقاده أنه يملك قوة خارقة متفق مع إيمان الشعوب الأخرى ويعنى هذا التقديس للأماكن كأطلال والقبور والجبال والأسواق وأماكن الآلهة إلى يومنا هذا فمن محاولة الإنسان الدائمة في البحث عن تفسير لقوى الطبيعة المحيطة به وهو مندهش أمام روعتها وغرابتها وعظمتها.

تنشأ العلاقة علاقة بين المكان ومختلف المعاني والعادات علاقة قوية لأنه الأرض والوطن والمأوى والانتماء ومسرح الأحداث ولم تكن فلسفة المكان بمعزل عن تناول الباحثين لها وإن كان هذا التناول جاء على شكل إشارات سوقة من خلال التعبير الشعري والأغراض التي تخدم مقاصد أصحابها في أبحاثهم،وممن تناول هذا الموضوع بالبحث أمثال "حبيب مونسي" المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتي جمالية "نعمة محمد إبراهيم" نظرية المكان في فلسفة الحسن بن هيثم "نوري حمودي القيسي" الطبيعة في الشعر الجاهلي.

ومن هنا كثرت التساؤلات والإشكاليات حول فلسفة هذا المكان وجمالياته وحالة الاغتراب التي كان يعيشها الشاعر أهي راجعة كما قال بعض الدارسيين سواء من الغرب أو من العربي أن هذه العلاقة هي مجرد تقليد فني سار عليه شعراء الجاهلية في معظمهم أم أن وراء هذا المكان غايات نفسية ومقاصد شعورية عميقة تخص الذات الجاهلية؟.

وتوصلت في نهاية بحثي إلى أن المكان جزء لا يتجزأ من حياة الشاعر وصيرورته لذلك فهو يشكل حضور قويا عنده فمن خلاله يحقق وجوده وانتمائه وقلقه واغترابه مطبقين في ذلك المنهج الوصفي التحليلي لإجلاء ذلك.

مقـــدمة:

وتلتم الدراسة في مقدمة ،ومدخل،وفصلين،وخاتمة ،جاء المدخل بعنوان المفاهيم الجمالية للمكان وقد طرحت فيه بعض مصطلحات المكان وركزت على مفاهيمه القديمة ودراسته الشعرية والأدبية والفنية،أما البحث قسم إلى فصلين حمل الفصل الأول:الوعي بالمكان في الشعر الجاهلي فيه حاولت دراسة المكان وعلاقاته بثقافة الشاعر والإنسان أما الفصل الثاني حمل عنوان المكان بين الحضور والغياب في الشعر القديم وقد خصصته للخوض والتفصيل في أهم دلالات وإيحاءات المكان و سميائيته من حيث التطبيق والتحليل وأراء بعض النقاد حول إشكالية المكان وفلسفته،وانتهت الدراسة بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج المستخلصة .

مدخل

المكان في الفكر الفلسفي:

لقد تطرق أهم الفلاسفة، إلى مفهوم المكان محاولين بذلك، إلى ضبط تعريفات بقدر ما هي متقاربة تظلم متسمة بالتباين والتباعد فعند القدماء تجسدوا المكان، واتخذ طابعا ميثولوجيا.[1]

« **ينقسم إلى ثلاث عوالم رئيسية** : الماء،الأرض، والعالم السفلي وهي مأهولة بالإلهة والبشر والأموات على التوالي » [2]

بحيث هذه الرؤية تطورت وازدهرت مع تطور الفكر البشري من خلال التعامل القائم بين الإنسان والعوامل والظروف التي تنتاب ذلك العالم.

في حين إن بواكير معرفه هذا المصطلح كانت عند أفلاطون (427-347قم) فقد عرفه بقوله« هو ما يحوي الأشياء ويقبلها ويتشكل بها» [3]

إذ هنا وضح في المقولة إن المكان الحجر الأساس،واللبنة الأولى في تحديد وتوضيح ما هية المكان.

ثم جاء بعده أرسطو الذي بحث في المكان بحثا معمقا ومفصلا واتفق ما أفلاطون في التصور العام للمكان من حيث الوجود والكينونة في المكان عنده موجود ما دمنا نشغله ونتحيز فيه التي تتميز في حركة النقلة من مكان إلى أخر وهو مفارق للأجسام المتمكنة فيه والسابق عليه ولا يفسر بفسادها.[4]

وقال أيضا« أن المكان هو السطح باطن المماس للجسم المحوري، وهو على نوعين خاص، فلكل جسم يشغله ومشترك يوجد فيه جسمان أو أكثر.[5]

نجد في هذا التعريف أن أرسطو(384-322ق م) عمال بتعريف أفلاطون وتوسع فيه بشكل واضح بحيث أن المكان ملتصق بالحياة البشر إدراكا حسيا مباشرا.

1– محمد عبيد صالح السبهاني **المكان في الشعر الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة** دار الآفاق العربية ط1 2007م ص 18.

2 – المرجع نفسه ص 18

3 – باديس فوغالي: **الزمان والمكان في الشعر الجاهلي** ،ص 171.

4 – أرسطو طاليس: **الطبيعة، ت اسحق ينحنين،ت ح عبد الرحمان بدوي،الهيئة** المصرية العامة للكتاب 1994، ط2 ص 281.

5 –نجيب الحصادي **قضايا الفلسفة العامة ومباحثها**، ص 228.

في حين يعرفه كل من«إقليدس (300-246ق م) وديكارت(1596-1650 م) بأن المكان هو ما تضمن ثلاث أبعاد هي الطول والعرض والعمق فهو ذو أبعاد محددة ومشكلة » [1]

وذهب ابن الهيثم (354هـ -430 هـ) مؤكدا أقوال من قال«إن المكان هو الأبعاد» .[2]

هذا فيما يخص الفلاسفة العرب، لكنه هناك إسهامات واضحة للفلاسفة المسلمين العرب فنجد الفيلسوف ابن رشد(1126م-1198م)يعتبر« المكان هو الحيز الحاوي للحياة النابضة» .[3]

بحيث هنا المكان هو الحيز الذي ننجذب إليه ونحوه لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحماية.

كذلك ابن سينا (980م-1037م) فقد كان رأيه قائم على التفريق بين مفهومين للمكان« إن المفهوم الأول هو المكان الحقيقي، وهو السطح المساوي لسطح المتمكن» «أما المفهوم الثاني هو المكان الغير الحقيقي، وأعني به الجسم المحيط» [4]

نجد من خلال تعريف ابن سينا السابق إن الفارق المشترك بين هذين التعريفين هو" السطح" و"جسم" والعلاقة بينهما،سواء كان المكان حاويا للشيء أو محيطا بالجسم أم أن الجسم مستقر فكل هذه المفاهيم تعتبر حسية وهي صوره مظاهر محسوسة تشير وتوحي إلى مواقع أو أماكن لها خصائصها العاطفية.[5]

إذ نستنتج أن مفهوم المكان لا يتحدد إلا من خلال العلاقات المكانية لأنه عبارة عن مجموعة من الأشياء المتجانسة ومن الظواهر أو الحالات والوظائف والإشكال المميزة ،كما انه له (حدود)إبعاد فيزيائية وحدود معروفه معينه.

---

1 – باديس وغالي: **الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، أريد عالم للكتب حديث** عمان، الأردن، ط1 – 2008 ص 171.

2-نعمة محمد إبراهيم **نظرية المكان في الفلسفة الحسن بن الهيثم الطبيعية مجلة أداء المستنصرية** ط12. 1985م ص 526.

3 - ابن راشد **نصوص ودراسات فلسفية فصل المقال الشركة الوطنية** للنشر والتوزيع الجزائر, د. ط 1982, ص 41.

4 - عبد الحميد **خطاب إشكالية المكان والزمان في الفكر الإسلامي** مجلة المبرز ع1 ص 72 نقلا عن بأديس فوغالي الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ص172.

5 - ينظر نظرية **المكان في فلسفة ابن سينا ص17، الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم** ص 40.

أما الكندي سيعرفه بأنه" السطح الباطن للجسم الحاوي المماس لسطح الظاهر لجسم المحوي".[1]

أما الفارابي وهو يتبع ما قاله الكندي ويتخذ من تعريف أرسطو السابق المظلة التي سيستظل بها بحيث يؤكد على إن المكان موجود ولا يمكن إنكاره، إذن العلاقة بين المكان والمتمكن هي علاقة إضافة ونسبة.[2]

إذ نستخلص أن مفهوم المكان كان من عصر لآخر ومن فيلسوف لآخر وكذلك من معجم لأخر غير أن الذي يلفت الانتباه أن مفهوم المكان ما هو إلا تصور عقلي يبين تحديد العلاقة الإنسان والأشياء بالمكان وقد تكون جدال واختلافات الفلاسفة هي الأصول الأولى الإشكالية المكان فقد أكدت وبرزت الدور الكبير والأساسي في تحديد العلاقة القائمة بينه وبين العالم الخارجي.

المكان في الشعر:

لقد اخذ الحديث عن المكان في الشعر العربي إبعادا مختلفة بحسب المعارف والروي التي عالجت هذه الدارس وكل مقاربة للمكان من هذه المنازع إنما قدمت نتائجها الدقيقة التي أعطت للمكان ثقله الفني في البناء الشعري شكلا ومضمونا[3].

1 – موسوعة الفلسفة 2/462.

2– **ابن سينا ينظر نظرية المكان في فلسفة** ص 33.

3 – حبيب مونسي، **فلسفة المكان في الشعر العرب**ي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ودمشق, 2001 ص 127.

وقد تنبها النقاد العرب قدماء إلى تأثر الشعب المكان الذي يقطنه قائلوه, وفي مقدمة أولئك النقاد: ابن سلام جمحي (ت 232 هـ) والجاحظ(ت 255هـ) وابن قتيبة (ت 276 هـ) وابن طباطبا (ت 322 هـ), وأبو الفرج الاصبهاني(ت 356 هـ), والقاضي الجرجاني (ت 392 هـ), والثعالبي(ت 429 هـ), وابن رشيق القبرواني(ت 456 هـ), وغيرهم من النقاد في البلاد العربية.[1]

كما كان الفضل أيضا للأندلسيين فقد سلطوا الأضواء على تأثر الأدب بالمكان واثبات أصالته وبراعته الأندلسي (ت 456هـ) وابن بسام الشنتريني(ت 542 هـ) الذي قسم الشعر إلى بيئات حسب الأماكن التي يقطنها قائلوه وقد أشار إلى ذلك في مقدمه كتابه. [2]

وقد استقى إلى المفهوم الشعري معناه من المكان الفلسفي وهو "لا يقتصر على كونه إبعادا هندسية وهجوم لكنه فضل عن ذلك نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية، الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد".[3]

فالمكان هنا ليس مجرد صورة أو شكل مرسوم هندسيا وإنما أحد العناصر الفنية التي يشتغل عليها العمل الأدبي وبذلك لم يعد مجرد خلفية مشهديه أو ديكور يملأ الفراغ، بذلك يعمل الشاعر إلى اختيار أماكن حقيقية في أعماله الأدبية فيتبين مفهوم المكان ويأخذ موضعه وإبعاده الجمالية في النص الشعري.[4]

---

1 – ينظر على الترتيب:

- **طبقات فحول الشعراء**، شرح: محمود محمد شاكر ص 40-48.
- كتاب **الحيوان، تحقيق وشرح**: ,3/4 80-381.
- **الشعر والشعراء، تحقيق**: أحمد محمد شاكر، ج 20/1
- **عيار الشعر تحقيق وتعليق**: د-محمد زغلول سلام ص 48.
- **كتاب الأغاني،ج 2/2-3 وج 132/4**. وينظر:(الملامح البيئية في النقد العربي قراءه جديدة للنقد القديم)
- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ج 1/202.

2 – إحسان عباس: **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: تحقيق:د، م ج 1، ق 1/ 12-32.

3 – منصور نعمان **نجم الدليمي، المكان في النص المسرحي**، دار الكندي للنشر الأردن، ط1, 1999، ص20.

4 – احمد درويش، **في النقد الشعر" الكلمة والمهجر**، دار الشروق مصر, 1996، ص60

فبصريح العبارة المكان هو منطلق الشاعر ومنتهاه في ترتيب وتشكيل نصه الشعري المكاني في العلاقة بين الشعر والمكان علاقة قوية الجذور متشبعة ،الإبعاد.

أنواع المكان

المكان المفتوح:

يحملنا الحديث عن الأماكن المفتوحة للحديث عن الأماكن الشاسعة ليست لها هوية محدده تنفتح على المجهول، قد يكون لديها بداية في مخيلة المبدع ولكن ليس لها نهاية في مخيلة الملتقى "لان الأمكنة المفتوحة تحاول عاده البحث في تحولات الحاصلة في المجتمع وفي العلاقات الإنسانية الاجتماعية، ومدى تفاعلها مع المكان.[1]

إن فضاءالأمكنة يكشف عن صراعات قائمة بين هذه الأمكنة بوصفها عناصر فنية وبين الإنسان المتم هي فيها فمنها ما يحقق السعادة والألفة الواحدة والمودة ومنها من يحمل الموت والفشل، ومن الشعر الأماكن المفتوحة المدنية بفضائها الواسع، اللام تناهي من الأحلام والآمال والتي لا يقيدها حكم أو تقليد لا تؤمن إلا بالحرية والانطلاق خارج السرب بعيدا عن كل القوانين والطقوس والتقاليد المفروضة.

ومما يدخل ضمن المدنية الشارع لأنه من العناصر البيئية الأكثر انتقادا ضمن الأماكن العامة المفتوحة[2]وهو مسار وشريان المدينة وفي نفس الوقت نفسه المصب الذي يسب فيه الليل والنهار وإشغالها وتجلياتها، فهو المسار والمصب في إن واحد.[3]

فالحاضر ينبثق عنه صور المكان المفتوح الذي يقبع في أحضان الماضي في شكل أحلام تجعل من الماضي نفسه مادة خصبة للمستقبل الذي يتمظهر في مخيلة الأديب حتى إن بعض الأماكن التي

1 – عبيدي مهدي: **جماليات المكان ثلاثية** حنا مينة، ص 96.

2 – حسين، فهد، **المكان في الرواية البحرينية**، ط 1، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين, 2003، ص 132.

3 – النابلسي، **شاعر: جماليات المكان في الرواية العربية**، ص 65.

متعلقة، يرفض الأديب تكون متعلقة ومحاصرة ويحولها إلى مكان مفتوح وذلك عبر فضاءات توالت في خياله الفني.[1]

مما سبق يتضح أن المكان المفتوح يقضي إلى ثلاث مسلمات في ديناميكية مستمرة على النحو الأتي:

- تموجات شعورية وجدانية في علاقة جدلية مستمرة.
- تشكيل محاور بين القضاء المكاني والرؤى النفسية.
- تمظهرات المكان المفتوح على مستويين (الأديب والمتلقي).

المكان المغلق:

إذ كانت الأماكن المفتوحة ترتبط بالشاسع والرحب وتتحدد بعدم وضوح الهوية فيها فان المكان المغلق، يمثل الحيز الذي يحوي حدودا مكانيه ويكون أضيق بكثير من المفتوح" فقد تكون الأماكن الضيق مرفوضة لأنها صعبه الولوج، وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة.[2]

يتضح مما سبق تعدد صور المكان المنغلق بدء من البيت انتقالا إلى أماكن مفتوحة قد تكون منغلقة نفسيا له، ولا سيما إذا فرض عليه قسرا.

ومن أكثر الأماكن انغلاقا مكانيا ونفسيا السجون إذ تشير العتمة قهرا والظلام عنصر يدسه المبدعون في أعمالهم الأدبين على اختلافها للتعمية القارئ وتهيئة الجو الملائم لسلوك الشخصيات.[3]

1- ينظر، باشلارغاستون، **جدلية الزمن، ترجمة: خليل احمد خليل**، ط 3، ديوان المطبوعات الجزائرية, 1992، ص 47.

2 – ي، قاسم سيزا وآخرون: **جماليات المكان**، ص 63.

3 – ينظر، مرتاض، عبد المالك: **القصة الجزائرية المعاصرة**: ط4، دار الغرب للنشر والتوزيع–الجزائر–2007 ص 112.

لذلك يرى بعضهم إن المكان المغلق يتعلق بأمور عده منها:

- مدى التوافق بين البني المكانية وبين المبدع نفسه.
- التناغم بين البنى المكانية و البني النفسية.
- التضاد بين الوعي واللاوعي.[1]

كما انه يتفرع إلى نوعين:

الأماكن المغلقة الاختيارية:

هو المكان الذي يختاره الإنسان بإرادته ويبقى فيه لفترات طويلة و «المكان المغلق الاختياري هو المكان الذي يحمل صفةالألفة وانبعاث الدفء العاطفي ويسعى لإبراز الحماية وطمأنينة في فضائه لهذا فالشخصية تسعى إليها بإرادتها دون قيد أو ضغط يقع عليها لان اختيار المكان يكون بالإرادة لا بالإجبار والإكراه.» [2]

الأماكن المغلقة الإجبارية :

وهي الأماكن التي يجبر الإنسان على البقاء فيها، رغم رفضه لها و «المكان المغلق الإجباري الذي وضع الساكن فيه دون إرادته» [3]أي انه يكون مجبرا على التعايش مع هذا النوع رغما عنه.

الأماكن الواقعية:

وهي أماكن حقيقية عاش فيها الشاعر لفترة زمنية محدده مع أشخاص محددين وفي تاريخ محدد وكثيرا ما يتذكرها الشاعر فيحن إليها كديار المحبوبة والقبيلة التي كان يعيش فيها وعلى هذا يقول زهير بن آبي سلمى:

1 – عتيق عمر: **اشراف أسلوبية في مجموعة (حلوى الماء)** لانتصار عباس مجلة أفكار. وزارة الثقافة الأردنية. العدد 244.

2 – مهدي عبيدي،**جمالية المكان في ثلاثية حناسية** ص 47.

3 – المرجع نفسه ص 45.

وقفْتُ بها من بعدِ عشرِينَ حِجَّةً ... فلأيًا عَرَفْتُ الدّار بَعْدَ تَوهمِ. الحجة: [1]

تبايت رؤى الشاعر في هذا المكان إذ أصبح يتحمل وزر مغادرة القبيلة له، وقابل ذلك الأمر بالانصياع وراء مخيلته لعلها تنفع من واقع تأمر عليه وجسد سلطة أبدية وهيمنة لا مثيل لها.

الأماكن الخيالية:

لم يعد الشعر الجاهلي عملا أدبيا يسجل حركه التاريخ التي صورت المجتمع الجاهلي في أخلاقه وثقافته وحياته الاجتماعية بل حول الشعراء اتخاذ مواقف إنسانية البسوها غذاء الإبداع بحيث يقدم لنا أجمل القصائد التي غاصت فيه أعماق البيئة الجاهلية فراحوا يوظفون ويستدعونا الخيال في إشعارهم بذلك أضحى اللجوء إلى الخيال أفضل وسيله«فالمكان يدعو للفعل ولكن قبل الفعل ينشط الخيال.» 2

فالمكان المتخيل هو بالضبط ما يجسد رؤى الشاعر وتصوراته في الوقوف أمام الطلل فيه استذكار وتخيل بمواقف كانت قد حدثت مع الشاعر في زمان ومكان ما كالخيال يمكن الشاعر من المواقف مخزنة في الذاكرة لان المكان حتى وان اندثر وتلاشى فانه تبقى منه بعض الآثار التي استعبدها الذاكرة من حين إلى أخر.

1 – ينظر، ديوان أبو سلمى، د ط، دار صادر، بيروت لبنان 2008، ص 75.

2 – ينظر غاستونباشلار، جماليات المكان، ص 41.

الفصل الأول :الوعي بالمكان في الشعر الجاهلي

المبحث الأول :علاقة المكان بالإنسان

المطلب الأول :امكنة المكان الشعر الجاهلي:

1. الأسواق:

كانت الأسواق مسارع الخيال وملاء السمع والبصر والفؤاد، فهي تثير إحساس الجاهلي وحسه وإليها يلجأ عابدا خاضعا،إذ أنها مواقيت مكانية تبدأ منها مناسك الحج إلى البيت الحرام فيأتيها الحاج محرما ويكفي تقديسا لها ارتباطها بالإحرام والحج يقول الحارث بن حلزة في ذلك:

كَفى شاهِداً إلى الصَفا ***إلى مُلتَقى الحَجِّ بِالمَوسِمِ

فشعيرة الحج تنطلق من الموسم أي من الصوت حيث ويحرمون ويطوفون في الأحجار عكاظ المقدس. [1]

فالأسواق أماكن مقدسة لها أصنامها وحرمتها يقصدها الناس يتقربون منها في مواسم حجهم وأصبحت **بعد ذلك أوسع مجالا فيها الأمور الحياتية وابتعدت عن الحياة الدينية، عندما طغت قداسة مكة على سواها.**

وصبغت الأسواق بالحرم الأشهر الحرم، فقد كان العرب يؤمنون فيها على أموالهم وأنفسهم ودمائهم ماداموا في حرمتها.

يقول النابغة الذبياني في ذلك:[2]

أرأيتَ، يومَ عُكاظَ، حينَ لقِيتَني ***تحتَ العَجاجِ، فما شَقَقتَ غُباري

بقوله (ما شققت غباري) تبين قداسة هذا السوق بحيث تنسبه في العداوة بينه وبين غيره.

2. الجبال:

الجبال من المظاهر الطبيعية الصامتة التي جلبت نظره الشاعر وفكره فعرف وصفه مكانا طبيعيا من قوة في عظمتها وتأملا في شموخها ورمزا لصلابتها في شعره دلت على أبعاد مختلفة ما هي تتمثل

1 – الحارث بن حلزه،ديوانه،ص133

2 –النابغة الذبياني ديوانه ص 54.

بصورة أعمق مما هي عليه المعاني الظاهرة، إيحاء اللحس الشعور عند الشاعر الجاهلي وتمثيل لتجربته الدينية التي عاشها في واقعيه، فالجبل هو المحور الذي بنى عليه الشاعر فكرة نصه،وهي التي استدعت مجموعه من الطقوس، كالجبل أبي قبيس إذا صاد عبد المطلب مرارا إليه داعيا متوسلا بان تنزل عليه السماء الغيث الذي به تحيا الأرض ويحيون[1]

يرسم أمية بن أبي الصلت، ما كان من الممارسة العرب لطقوس سحرية ممثلة استسقاء على قمم الجبال، فإذا حل القحط واحتبس عنهم المطر ،جمعوا البقر وعقدوا في أذنابها وعراقيبها أنواع من النبان وصعد إلى الجبل مشعلين فيها النار معتقدين إن ذلك سيتنزل عليهم المطر ويغيثهم بما هم فيه من جذب وقحط [2]فالنار إشارة البرق[3]، والبرق مجلبة المطر يقول في ذلك:

سنة أزْمــةٌ تخيّـــلُ بالنـــا ** سِ ترى للعِضاهِ فيها صريرا**

ويسوقون باقراً يطردُ السَّهلَ** مهازيلَ خشيةً أن يبورا**

عاقدين النيّران في شُكُرِ الأذ** نابِ عمداً كيما تهيجُ البحور**

سلعٌ ما ومثله عشرٌ ما* عائلٌ ما وعالت البنقورا**

إذ ليس من شك أن الجبل شكل في الشعر الجاهلي تشكيلا رمزيا وأشار إلى طقوس الاستسقاء التي مارسها العرب باستخدام البقر والنار.[4]

توجه الإنسان إلى الجبال معترف بعجزه أمامها،ساعيا إلى الاستعطاف او استمالة القوى المتفوقة التي تحل فيها، بالتضرع والصلوات والقرابين، فكانت رمزا مكانيا لكل ما هو مهم. كجبل (نوذ) وقدسته التي اكتسبها من نزول سيدنا ادم عليه السلام وجبل (جودي) الذي كان مقرا لسفينة نوح

1 -جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب** ج 6/ص 221.

2 الجاحظ، **كتاب الحيوان**، ج 2 ص 492.

3 -الجاحظ، **كتاب الحيوان**، ج2 ص 74.

4 - أمية **بن ابي الصلت**، ديوانه ص 73-75.

عليه السلام وجبل (عرفة) الذي كان مكانا جامعا لآدم وحواء،فارتبط معانيها الجليلة في مخيلة الإنسان[1]

وهذا البيت من أبيات لورقة بن نوفل:

سُبحانَه ثم سبحانا نعوذُ بهِ* وقَبْلَنَا سَبَّحَ الجُودِيُّ *والجُمُدُ***

ومن خلال ما تبين لنا أن الجبال أماكن بارزه في الموروث الديني عند الشعراء.

ومما تقدم الشبح أن نظر العرب إلى الجبال كانت ممزوجة بالخوف والخشية لأنها موطن الجن التي طالما حاول العرب التقاء شرها، فتقربوا إليها خوفا من غضبها وسخطها[2], بحيث كانت منبعا زاخرا يسقون منه العلو والشموخ والثبات وتمتاز بمكانة مقدسة متأتية من ارتفاعها وقربها من السماء،فاستدعت أجواء طقسية تجتمع فيها الرهبة وتدور حولها العظمة.

- مكه المكرمة(البيت الحرام): احتفظ المكة المكرمة بمكانتها المقدسة، فلم تكون وطنا مملوكا فحسب، فهي مهوى الأفئدة منذ أقدم العصور، وهي مكان موح معجز، يشعل قريحة الشعراء تلامس قوى الإحساس في النفس البشرية فالمكة في الشعر تاريخ عريق يزيد من رونقه ويعزز من قوته، إذ ترددت بأسماء مختلفة كالبيت والعتيق والمحرم واللوى وكلها أسماء موحية تحتوي على شحنة كبيرة تعطى للشعر طلاوة وتثير حوله جوا روحانيا وعبقا دينيا.

يقول زهير بن أبي سلمى:[3]

وَباللَّاتِ وَالْعُزَّى الَّتِي يَعْبُدُونَهَا* بِمَكَّةَ وَالبَيْتِ العَتِيقِ المُكْرَمِ**

فالعتيق هنا بمعنى المعتوق أي الحر فالله تعالى أعتقه من يد الجبابرة وتحمل لفظة العتيق معنى القديم فهو أول بيت وضع للناس على وجه الأرض ولان الله حفظه من الغرق والطوفان.[4]

---

[1]- البغدادي عبد القادر: خزانة الادب ولب لباب العرب، تحقيق عبد السلام هارون المطبعة السفلية، القاهرة, 1349هـ ج3، ص 183

2 – أنور أبو سويلم:مظاهر من الحضارة والمعتقد في شعر الجاهلي دار عمان، عمان, 1991م، ص115.

3 –حاشيه التبريزي ص 174

4- ابن متطور لسان العرب، مادة(عتق).

ويعد بيت الله الحرام أول الأماكن التي زادت من أهمية مكة وعظمتها وفي الحج إليه أسمي معاني القداسة والإجلال.

وللحج أركان معينة إذ ينتقل الحاج من مكان إلى أخر، وفي كل مكان من هذه الأمكنة يمارس طقوسا خاصة تبرز عمق الإحسان بقيمة المكان وعبقريته ويظهر فيها الترابط بين الحس الديني والحس المكاني وفي كل مكان يكون الحاج حاضرا جسدا وروحا فعلا وقولا.[1]

ومن طقوس تعظيمهم للبيت الحرام (**الطواف**): يقول مضاض الجرهمي واصفا ذلك:[2]

وَنَحْنُ وَلِينَا الْبَيْتَ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ* نَطُوفُ بِذَاكَ الْبَيْتِ وَالْخَيْرُ ظَاهِرُ**

هنا الطوف بحمل طقس العبادة والخضوع ويقول **زهير بن أبي سلمى** في طقس الطواف:[3]

فَأَقسَمتُ بِالبَيتِ الَّذي طافَ حَولَهُ* رِجالٌ بَنَوهُ مِن قُرَيشٍ وَجُرهُمِ.**

فالجاهلي عرف الصلاة بمعنى الدعاء والتضرع وفي صلاتهم أسمى درجات الخشوع والعبودية للبيت الحرام، بحيث كان العرب يتفاخرون بخدمة بيت الحرام، فهم بذلك ينالون رضي الآلهة وفي طقس السدانة يقول حسان ثابت مادحا قريش بأنهم سدنة الكعبة[4].

كانَت قُرَيشٌ بَيضَةً فَتَفَلَّقَت * فَالمُحُّ خالِصُهُ لِعَبدِ الدارِ**

وَمَناةُ رَبّي خَصَّهُم بِكَرامَةٍ * حُجّابُ بَيتِ اللَهِ ذي الأَستارِ**

فهذه المهنة كرامة ومجد لصاحبها لما البيت الحرام مكانة وعظمة.

وتعامل الجاهلية مع هذه الأمكنة بتوق روحاني وقدمها بوصفها إذ أثارت مشاعره وحركت عواطفه لمالها أهمية دينية حفظت في العقول والأذهان ومن ثم انعكست واقعا على حياته فرأيناها في شعره وقصائده.

1 - ينظر محجوب سعاد، وصف البيت الحرام في الادب العربي المجمع الثقافي ابوظبي(د-ت)، ص 127.

2 – الجارم أديان العرب في الجاهلية ص54.

3 –زهير بن سلمى ديوانه ص 66.

4 –حسان بن ثابت ديوانه تحقيق سير حنفي حسين الهيئة المصرية العامة القاهرة, 1974م، ص 121

3. القبور:

من الأمكنة التي استولت على مشاعر العربي في عصر الجاهلية، القبور كان يقف أمامها، وقد تملكته الرهبة الممزوجة بالخوف والعبودية.

يقول بشر بن آبي حازم مدللا على أن القبر كان ذا ارتفاع بارز وأنهم جعلوا له بابا:[1]

فَمن يَكُ سائِلاً عَن بَيتِ بِشرٍ* فَإِنَّ لَهُ بِجَنبِ الرَدهِ بابا**

لقد تعامل الشاعر مع القبر بدلالات تدل على مكانته السامية إذ جعل قبره قرب الماء –الرده– وفي مكان مرتفع، إضافة إلى لفظة بيت التي تدل في معظم الأحيان على بيت للعبادة يقصد إليه الزائرون سائلين حوائجهم.

بحيث كانوا يطوفون حوله كما يطوفون حول بيت المعبود يقول الأعشى في وصف أثر الحرب:[2]

تعودُ عليهمْ وتمضيهمُ** كمَا طَافَ بِالرّجْمَة المُرْتَجِمْ**

وكانت قبور كبار القبيلة وسادتهم مزارات يقصدها المحتاجون فيلبون ويلجأ إليها الخائنون فيأمنون، ومنها قبر تميم جد بني تميم وقبر عامر بن الطفيل.[3]

فالقبر أصبح نهاية حتمية لكل إنسان فقد تعامل الشاعر معه بنظرة قدسية إكراما وتعظيما لأربابهم.

المطلب الثاني :فضاء المكان في الشعر الجاهلية:

1. فضاء القفر والرفض:

شكل القفر والقحط ظاهرة لافتة في الشعر الجاهلي، الذي تعززت فيه رؤية الشاعر وكيفية انفعاله مع الوجود، فالحياة الجاهلي تعتمد على الخصب والكلأ لذا فالمكان المقفر كان يعني للشاعر الشيء الكثير، إذ انه يكشف عن وعيه العميق وإحساسه به.

1 – بشر بن أبي حازم–ديوانه ص 26.

2 – الأعشى ديوانه,ص 488.

3 – علي المفصل في تاريخ العرب ج 6 ص 488.

- **الإطلال:** كان للطلال دور هام في تكوين قضاء القفر والرفض بحيث كانت العدو للشاعر الجاهلي والخراب والدمار والحزن واليأس الذي جسده الشاعر في بكائه يقول امرؤ القيس:[1]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ ***سِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوْضِحِ فَالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا* لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ**

تَرَى بَعَرَ الأَرْآمِ في عَرَصَاتِهَا* وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ.**

هنا يقف الشاعر على بقايا الديار بصحب إقرانه مستعينا بهم وبدموعه لمواجهة الخواء.

فالفضاء الطللي مغلف بالحزن واليأس بعد رحيل المرأة التي كانت التي تضفي عليه الحياة، مما يخفي فضاء القفر اليأس الذي يخيم عليه. من قدرته على العودة إلى الخصبي والحياة: على نفس الشاعر ويأسه يقول عنترة ممثل للفضاء القفري الطللي:[2]

وَقفتُ بِهِ وَدمعي **مِن** *جُفوني*** يَفيضُ عَلى* **مَغانيهِ** *الخَوالي*

إِذا صاحَ الغُرابُ بِهِ شَجاني*وَأَجرى أَدمُعي مِثلَ اللآلي**

وَأَخبَرَني بِأَصنافِ الرَزايَ*وَبِالهُجرانِ مِن بَعدِ الوِصالِ**

ويشحن الفضاء القفري شعور الشاعر بالاغتراب، فوصف الطلل بأنه لا يمكن أن يفهم أو يدرك لأنه خال من معبودة الذي كان يمدهم بالخير والحياة ويدرأ عنهم الشر والأحزان، ويزاد شعور الشاعر بالغربة عندما ينظر إلى فضاء دياره فيجدها وقد كفنت بالدمار والخراب بعد إن كانت نابضة بالحياة والخصوبة.

فتبين رأيي فيما سيق أن غياب الآلهة عن المكان التي تتمثل في الطلل والمعبد تحيله إلى فضاء ميت مغلق مقفر يمضي فيه سائر أوقاته ولا يستطيع أن يعيد له الحياة.

1 -امروء القيس ديوانه ص 8-9.

2 -عنترة العبسي. ديوانه ص 148.

- **الماء:** بتدخل اللون في تشكيل فضاء القفر والسلب، لاماكن المياه فيسبغها بشحنات سلبية تجعله منفرا لا يقربه أحد.

يقول زهير بن آبي سلمى:[1]

يخرجنَ، من شرباتٍ، ماؤها طحلٌ* على الجُذوعِ يَخَفْنَ الغَمّ والغَرَقَا**

فقول الشاعر (طحل) يحمل دلالة منفره تتبع من خوف الضفادع من الفرق والفم لأن الماء هنا كدر بعيد عن النقاء والصفاء.

وفي وصفه للون الماء بالصفرة ما جعل فضاءه يجسد الكدر والغم وعدم الارتياح فهو يحمل دلالات سلبية كما انه لون الجدب والصحراء والجفاف بقول في ذلك:[2]

وخالي الجبا أوردته القوم فاستقوا * بسفرتهم من آجن الماء أصفرا**

رأوا لبثا منا عليه استقاؤنا*وري مطايانا به أن تغمرا**

فلون الأصفر صيغ فضاء الماء بالقلق وعدم الارتياح والكدر فتغير الماء لهجر الناس له حتى لون الماء جعله غير صالح للشرب وبذلك يتلون هذا الفضاء بالنفور والرفض.

- **الأسواق والأيام:**

تتمظهر الأسواق في كونها فضاء رفض وقفر عندما تصير ساحة للحرب وسفك الدماء بعد أن كان الدخول إليها يرتهن بإلقاء الأسلحة خارجها لحين الانتهاء من مراسيمها لأنها تقام في الأشهر الحرم، وتخيم على فضاء الأسواق الرافض وحشة الحرب ومعاناتها، فكان فيها من الأيام (**يوم نخلة**

1 –زهير بين سلمى ديوانه ص37.

2 –ثعلب أبو العباس: **شرح شعر زهير بن ابي سلمى: تحقيق فخر الدين. قباوة**, مكتبة هارون الرشيد, دمشق 2008م, ص 187 .

ويوم شمطة ويوم العبلاء ويوم عاكظ) التي حملت معها الدم والقتل والتهديد، والوعيد ونظم فيها الشعراء من الأبيات ما يجسد قسوة الفضاء الذي غلق الأسواق ،يقول حداش بن زهير في يوم نخلة:[1]

يا شَدَّةً ما شَدَدنا غَيرَ كاذِبَةٍ*عَلى سَخينَةَ لَولا اللَيلُ وَالحَرَمُ**

فتقالت قريش كلها وكنانة مع هوازن ومن معها من قيس عيلان، حتى إذا ما دخل الليل ودخلوا الحرم، وتواعدوا العام المقبل.

فهنا برأي أن سوق عكاظ اقترن بالحرب، وبتعدد أيامها تصبح فضاء عداء خال من الأمن والاستقرار الذي كان من المفروض أن يحل عليها.

2. فضاء الجذب والحلم:

انطلاق من قاعدة أن الإنسان يزداد إحساسا بالمكان،إذا حرم منه فحين ينطق عن وطنه ويحرم منه سواء كان اختيارا أو إجبارا، فإن الوطن تمدد في داخل هذا الإنسان ويصبح مصدر للحلم والإبداع، وتنشيط المخيلة الخالقة،لتبدأ بتشكيل صورة خاصة لهذا المكان المفقود لذا فالشاعر يقوم باستدعاء الأماكن المفقودة التي يرى فيها عوامل جذب عن طريق خياله وأحلامه ويجسد فيها رغباته وأمنياته.

– بيت الإله: كان بيت الإله من الأماكن التي تدخل في فضاء الجذب والحلم، إذ أن المثول فيه يترك في النفس ارتياحا وطمأنينة،لأنه يوفر لهم في اعتقادهم ما يحتاجونه من متطلبات الحياة ومعرفة الغيب.

فكان في بيت هبل،سبعة قداح لاستفتائه في أمور الحياة كالزواج والسفر والحرب والنسب، فهذا البيت اكتسب الألفة والجذب لأنه على علم بأمور الحياة المهمة يقول شمعة بن اخضر الضبي[2]

رئيس ما ينازعه رئيس سوى* ضرب القداح إذا استشارا**

1 –ابن عبد ربه **العقد الفريد ج6** ص 106 .

2 –الجاحظ، **البيان والتبين**، ج 3/ص 104.

فهو يخضع لما تتبخر لها لقداح، إذ لها الرأي الفصل في حياته.

وكل بيت مقدس تؤدي فيه طقوس العبادة بشكل فضاء جذب وحلم برضى الآلهة وأن تمن عليهم بالخير وتدفع عنهم الشر وكان للسواد الذي تصطبغ به الكعبة دور في الفضاء الجذب إذ أن اللون يكبح فيهم جماح الخطايا.

3. فضاء القيم:

المكان هو الحاضن الأول للإنسان فتشكل من تعاقب التفاعل وتبادل التأثير بينه وبين الإنسان حتى صار جزءا من الوعي العام ويعبر بهذا الأماكن عن قيم الكرم والشرف والسيادة والانتماء وغيرها من المعاني، التي دارت حولها الحياة الجاهلية وبذلك ينتقل بالمكان من الإطار المادي المجرد إلى المعنويات لما يشير إلى العلاقة الحميمة بين الإنسان والمكان ما جعله يبعد عن هذه الأماكن بأغلى ما يملك وهي القيمة التي أسس عليها حياته بجميع جوانبها من تشابه وتطابق واختلاف مرده إلى طبيعة القيم التي يمثلونها.

– **المنافرات والمفاخرات:** وفي فضاء القيم تلوح المنافرات والمفاخرات،وهما من سمات المجتمع الجاهلي وكانت الأسواق ميلادا لها ومن المنافرات التي قضي فيها في سوق عكاظ ما حدث بين محمد بني احيحة والزبرقان بن بدر حيث ترافعا في حكومتهما إلى النابغة وكان نابغه قد نصب قبة وفعل ذلك زهير بني أبي سلمى، يسمح العرب منهما.[1]

ومن أهم ما جاء في المنافرات التي فصل فيها في سوق عكاظ منافرة جرير البجلي وخالد بن أبي ارطاة الكلبي حين قال له رجل من بني كلب كأنك تستطيل على قضاعة فقال: ميعادك من قابل سوف عكاظ.

1– ينظر ابن جون أشعار ابو ربيعه بن سليمان بن موسى:الرياض الأدبي في نشر الخمر طاشية: تحقيق: القاضي محمد بني علي الاكوح والقاضي إسماعيل بن احمد 1999 ص 136.

وربما كان اختيارهم لتكون السوق محكمه منافرة ليشهدها حشد كبير من الناس.[1]

– **مكة والبيت الحرام** وفي فضاء الجذب فان الأهمية الدينية والتجارية مجتمعتين جعلتهم من مكة منتجعها للأسفار، وملقى للرحال تهوي إليه الأفئدة من كل فج عميق فكان ذلك بداية لجمع العرب على لهجة واحدة هي لهجة قريش.

وعبر فضاء الجذب والحلم يحلق الحمام في سماء البيت الحرام، فحمام مكة من نسل الطير التي رمة أصحاب الفيل وفيه يقول النابغة:[2]

وَالمُؤْمِنِ العَائِذَاتِ الطَّيْرَ يَمْسَحُهَ* رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الغَيْلِ وَالسَّنَدِ**

فهنا بيت الحرام يتلون بطقوس وشعائر الحج التي يمارسها الحج ويتجلي ذلك بأدائهم جميع الشعائر التعبدية في المكان المقدس، ففي ذلك الشفاء والسلوى لأرواحهم المضنية.

وفي نهاية حديثنا عن فضاء الحناء نستطيع أن نتوصل إلى أن هذا الفضاء يمثل الأمل لدوام الحياة بعد أن كان المكان الواقعي قاصرا عن تحقيق الحلم والآمال فعندما يتحولا لوجود إلى فكره فمن الضروري أن تستحيل تلك الفكرة داخل الذاكرة الإبداعية لجماعه إلى فن ونحت شرط الشتاة والمنفى يصبح الشعر بالضرورة متقدما على الفنون الأخرى بتجسيد تلك الفكرة المجردة وتحويلها إلى وقائع جمالية مره أخرى، تقرب المسافة الشاسعة بين الحلو والواقع.

– **الاغتراب والحنين**: يقف الشاعر أمام الدمن والأثافي التي كانت تعج بالحياة والحركة والتي أصخت خرابا ودمارا وأثار بالية وأهلها ارتحلوا ولم تبقى إلا قطاعات البقر الوحشي والنعام، توصل وتحول محل أهله فالغربة والوحشة التي تلف المكان جعلت الشاعر ينتقل من وحشة المكان إلى فضاء الشوق والحنين وجعلته يدرك كم هو غريب في هذا الفضاء الموحش.

1 –ابو عبيدة عمر بنومتنا: شرح نقائض جريري والفرج دق تحقيق محمد إبراهيم جور–وليد محمود خالص، المجمع الثقافي ابوظبي1998ج1/ص 310

2 –النابغة الذبياني،ديوانه، ص25

يقول النابغة في ذلك:[1]

دعاكَ الهوَى واستَجهَلَتكَ المنازِلُ ***وكيفَ تَصَابِي المرءِ والشَّيبُ شامِل

وَقَفتُ بِرَبعِ الدارِ قَد غَيَّرَ البِلى * مَعارِفَها وَالسارِياتُ الهَواطِلُ**

هنا الشاعر بيننا شعوره بالغربة الذي استمده من هذا الفضاء الذي ارتسم بألوان البلى والعدم وبين مدى خيبته إلى الأحباب بعدما ارتحلوا.

– **الأخذ بالثأر**:وكان لصوت الهامة الذي يصدح في فضاء القيم معلنا قيمة طالما كان العمل بها من صفات العرب الأعزاء، وهي الأخذ بالثأر إذ أنهم اعتقدوا أن الهامة أو الصدى طائر خرافي يخرج من رأس القتيل الذي طل دمه ويقف على قبره صارخا"**اسقوني فإنني صدية**"

ولا يزال كذلك حتى يؤخذ بثأر القتيل، فيختفي الطائر ثم لا يعود واعتقدوا ذلك لوهلهم وولعهم بالأخذ بالثأر.

يقول ذو الأصبع العدواني مهددا ابن عمه المبغض له:[2]

يَا عَمْرُو إِنْ لا تَدَعْ شَتْمِي **وَمَنْقَصَتِي** ****أَضْرِبْكَ* **حَتَّى** *تَقُولَ الهَامَةُ اسْقُونِي*

وقال الشاعر لابنه يوصيه بأن يثأر له إن قتل حتى لا تنادى هامته بالسقيا، لان إهمال الثأر عار ومعصية يشيب لها الرأس.[3]

ولا تزقوني بهاما فوق مرقب ***فان زرقاء الهام للمرء غائب

تنادي ألا أسقوني وكل صدى به * وتلك التي تبيض منها الذوائب.**

وعيب عليهم ترك الثأر وجسدوا ذلك بالهامة التي تصرخ وتطالب بثأر القتيل.

1 –النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص 154

2–ذو الاصبع العدواني. ديواني جمع وتحقيق عبد الوهاب العدواني مطبعه الجمهورية الموصل 1973 ص 92

3 – ينظر: الالوسي، بلوغ الادب، ج2/ص312.

وعليه فصوت الهامة وصياحها يشير إلى موروث قديم يرتبط بتقديس القبور فصوت الهامة يبني فضاء القبر طقوس سحريه يستدعون به المطر ويستسقون به فهي تطلب الماء وليس دم.[1]

المطلب الثالث :فلسفة المكان وعلاقته بثقافة الشعر:

المكان هو الحضن الأول للإنسان المتمسك ببيئته المماثلة أمامه ،حيث يتفاعل مع مظاهرها ويسبح ببصره في إرجائها ويطيل التوحد بالمكان وكأنه في حالة "**تعبدية**",[2] فيصور كل ما يقع عليه نظره تصويرا يلامس العلاقة التي تربطه ببيئته فالمكان بالنسبة للشاعر شيء مقدس يعبده بواسطة أحاسيسه أي انه أشبه ما يكون بعلاقة المسلم بالصلاة.

فالمكان يعد الموطن الأول الذي تنفتح فيه وذلك الإنسان وهو أيضا الركن الأساسي الذي يمارس فيه تكوينه الحياتي،وهو يحدث تأثيرا في نفسية الشاعر وتغيير أحواله جعل منه وعاء يحمل مواقف وعواطف وانفعالات إنسانية تعبر عن تفاصيل حياته.[3]فإذا كان المكان حاضرا في الذاكرة الملهمة بكل ما فيه من أحداث ومواقف وذكريات فإنه قد يتحول بذلك إلى جزء من الثقافة التي يتعاطاها القوم يثير ذكره في أذهانهم أمورا لا تنفصل عما خبروه عنه أو سمعوا ،مما أصبح ملامسا لقوى الإحساس والمشاعر عندهم، وهو تاريخ متصل تتناقله الأجيال وتتمثله وتعيد صياغته على النحو من استلهاما لمتراث المتجدد في روح المجتمع.[4]

ويقودنا الحديث في الشعر الجاهلي إلى التأكيد على ما طفى النصوص الشعرية من جماليات دلالية أو أسلوبية أو إيقاعيه تلف شعرية الخطاب، ومنه تتجلى تلك الإنشائية التي غارت في أعماق النص الأدبي وبنيته السطحية، فتلمح أن الجمال الأدبي يتجلى في كل النص لا في جزئية من جزئياته أو أحد عناصره المتعددة والمتنوعة وهو محصل التجربة والفكرة والأسلوب والصور والإيقاع

1 – الديك. صدى الأسطورة والأخر. في الشعر الجاهلي ص 140. 141.

2–ينظر بديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي. ص182.

3 – يوسف خليف دراسات في الشعر الجاهلي،ط1، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع مصر، القاهرة, 1981 ص 123.

4 – المنصوري جريدي: شعريه المكان ط 1، دار العلم للطباعة والنشر السعودية، ط 1992. ص 11.

واللغة.[1]فالمكان- كيفما كان - يحظى باهتمام الشاعر وتمارس حواسه عليه عملية الكشف الأولى ويكون حضوره في الطبيعة مطية للتوليد أو امتلاك قيمه دلالية ترتبط بوجوده أي شاعر وحياته وصراعه وثقافته بشكل عام.

ومن هنا يمكننا القول أن المكان لم يعد فراغات وهمية ونسبا رياضية بل يتعداها إلى الخيال وديناميات اللامتناهي من الفعل الإنساني.

إنما سبق يفسر الارتباط الإنساني الحميم بين ثقافة الشاعر والمكان عبر تذكره للأحداث التي جرت فيه وحنينه لتلك الذكريات بكل ما فيها من مشاعر فياضة فالمكان الذي نقضي فيه كل حياتنا منذ ولادتنا وحتى مماتنا،حين تتم استعادته فانه يكشف لنا لا عن وجوده الواقعي بل عن بعده العاطفي الذي اندس في مجوداتنا الشعرية والجمالية ومن هنا تصبح صورته ذات طبيعة شعرية.[2]

إن هذه الذاكرة التي تستوطن داخلنا هي على حد قول باشلار: بروز مفاجئ على سطح النفس [3]ولذلك فإننا عندما نستعيده وفقا تأملات نفسية وانفعالية.

المطلب الرابع :الشعر الجاهلي ورمزية الطلل:

يعد الطلل من أهم الموضوعات التي ترددت في القصيدة الجاهلية لاعتماد الشاعر الجاهلي أن يبدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال الحبيبة باكيا ذكراه مخاطبا منه ذلك الطلل وميوله وعواطفه بماضيه وحاضره.

إن الشاعر الجاهلي تعايش مع الأطلال واقع وحقيقة فقد نظر إليها نظرة تقديس لأنها تجعله يقول الشعر في أحسن صورة، وكان كل شاعر ينفرد بأسلوبه الخاص بوقوفه على هذه الأطلال ويصوره كل واحد منهم في صورة متميزة عن غيره لهذا اختلفت صوره وكذا المصطلحات الدالة عليه

1- محمد صالح الخرفي دلاله المكان في الشعر الجزائري المعاصر أطروحةالدكتورة اشراف يحي الشيخ صالح جامعه قسنطينة 2006/2005 ص 23.

2- ينظر حداد علي المكان عن ذاكرة الطفوله(قراءة: في الانبهار والدهشة زيد مطبع دماج) اليمن,ط1,2009 ص 3.

3 - باشلارغاستون: جماليات المكان: ترجمه غالب حلسه ط2 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر لبنان (د. ط) 1984 ص 39

وكان يصطلح عليها بأسماء يختارها الشاعر ويجعلها مضمون شعره وإن كانت تؤدي في مجملها إلى معنى واحد" الأطلال" نذكر منها على سبيل المثال الرسوم والآثار والبلى والديار.... الخ[1].

إن طبيعة الحياة الجاهلية وواقعها وعدم استقرارها جعلت من الشاعر الجاهلي في كثير من الأحيان مندهشا مضطربا خائفا فحياتهم تنهض على نظام التضغان انتجاعا للكلأ والتماسا المدافع الماء وارتشاف لمنابعها وارتواء بها في غدرانها.[2]

بحيث تلك الأيام واللحظات التي يقضيها الشاعر تسجل وتحفظ وتنقض وتبقى في ذكراه ، فإذا ما رحل وعودته الذكرى وقف واستوقف وبكى واستبكى من حولي ،فيجد الأطلال وسيلة.

يعبر بها عن عواطفه الجياشة وتجاربه الحميمة فهو يعبر عن مكنوناته فيتحدث عن خروج إلى الصحراء للرحلة والصيد والالتقاء بالرفاق لشرب ولعب الميسر والسعي وراء المرأة طالبا للحب والغزل وغير ذلك [3]الصادق الأصلي لحب البادية العربية في عصر الجاهلية واللون الذي انفردت به بين سائر البيئات العربية في شتى عصورها والتي شارك فيها شعراء الجاهلية جميعا على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم.

وبمعنى أخر إن الطلال تحمل الذكرى والماضي والحاضر واللذة واللوعة ومشاعر الإنسان وهموم الجماعة وفيه التجربة الفردية وتراث القبيلة وعلى رغم من ذلك نجد أن الأطلال تمثل وجدان الشاعر وموقفه الفكري سواء أكان ذلك في شكل عوامل طبيعية من رياح وأمطار أو صورة ووصف صورة الحرب والغزوات ،بشكل واضح وان سبب وجود الطلل وكثرت تردده في القصائد هو نتيجة طبيعية لكثرة الحل و الترحال التي هي من أثار البيئة التي درج الشعراء على أرضها وكثرت أسفارهم نتيجة بحثهم عن المرابع و المشاتي والحبيبات وما إلى ذلك.

1 –ينظر حسن بن ثابت ديوانه شرح البرقوق المطبعة الرحمانية لصاحبها عبد الرحمن موسى الشريف بيروت ص 247.

2 – عبد المالك مرتضى السبع المعلقات مقاربه سيمائية انثروبولوجية ص 58.

[3]- يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ط 1981 ص 123.

أما الإطلال فهي حجارة صماء ونؤي وأثافي سفع وأوتاد لا تعني شيئا بذاتها ولكنها تعني كل شيء بنسبة للشاعر الجاهلي تعني وجوده وتعني ماضيه وملاعب صباه وتعني وطنه.[1]

إن اللحظة الطلبة هي النقطة التي تلتقي فيها ثلاث من علائق الإنسان علاقة الإنسان بالمجتمع في لحظته السكونية وعلاقة الإنسان بالمجتمع في لحظته التاريخية (**بالماضي**) وعلاقة الإنسان بالطبيعة التي تشترط وجوده كله.[2]

إن وقوف الشاعر الجاهلي على الأطلال لم يكن محض تعلق بتلك النؤي والأوتاد والأثافي والدمن والآثار قدر ما هو تعبير عن توترات كانت تقوم في نفسه بين الماضي والحاضر بين التالف الجمعي والتفرق بين الاستقرار أوالرحيل بين المكان و اللامكان بين الوجود الإنساني و اللاوجود.[3]

وعلى هذا فالأطلال ليس وحدة اعتباطية وهي ليست محض تقليد فني فرضته التقاليد التراثية فهي وان كانت قبل أمرئ القيس استجابة موضوعية لمعاناة بيئية خاضها الشعراء وافردوا لها قصائد ذات موضوع واحد لم يصل ألينا أكثرها إلا أنها أصبحت فيما بعد صيغة مفرغة عن مدلولها الموضوعي على رغم من قدرتها على الاستقبال الزخم النفسي الذي تتطلبه التجربة،[4]بحيث أنها أكثر من رمز شعري. لأنها الرموز المتجددة في ذهن الشاعر والتي تعبر عن ارتباطات شتى ومكنونات عديدة وتصورات مختلفة ذهنية وعقلية ونفسية واجتماعية ترد جميعها إلى عالم الذكريات.

ومن أكثر النماذج وضوحا وتأكيدا لما ذهبا إليه طللية أمرئ القيس في معلقته المشهورة إذ لم يكن بكاؤه على طلل حبيبته راحلة وإنما كان بكاء ملكة كندة المنهارة وذكره الحبيب إنما هي ذكرى ملك أبيه وعزته وسياسته وهو الحبيب المستقر في وجدانه انه لم يبك منزلا واحدا وإنما بكى منازل كثيرة انه

1 –ينظر مقالات في الشعر الجاهلي يوسف اليوسف دار الحقائق 1983 ص 123.

2 –الشعر الجاهلي لإبراهيم عبد الرحمان محمد بيروت 1980 ص 366.

3 –مدخل الى ..... القصيدة العربية قبل الاسلام / بحث / 17 الدكتور محمود عبد الله الجادر.

4 –خصوبة القصيدة الجاهلية محمد صادق حسن عبد الله دار الفكر العربي د. ت. ص 313 و579.

يبكي على مملكة ويدعو قبيلتي كندة وحمير لتبكيا معه كي يكون الدمع حافر الثأر وذلك ما تحقق على الصعيد التاريخي.[1]

أما الطلل زهير بن أبي سلمى فيبدو أكثر التصاقا بالتجربة الموضوعية فالحرب التي دامت أربعين عاما هي التي أحدثت هذا التغيير الذي طرأ على الديار فالدمن لم تتكلم والأثافي سود ووجه الأرض مغبر يخيم عليه سكون كان ذلك نتيجة للحرب وما تلحقه من دمار يأتي على الحرث والنسل

بها العِينُ والأَرْآم يَمشينَ خِلْفَة ... وأطْلاؤهَا يَنْهَضْنَ من كل مِجْثَمِ

صورة رائعة لا نبعاث الحياة وتجددها صورة حركة الحياة وديمومتها يقيم زهير من خلال لوحدة الطللة علاقة تضاد بين سكون الحياة وخرابها وبين انبعاث الحياة وتجددها وهو بهذا يرمز إلى الحرب والسلام إلى حياة القبائل في ظل الحرب وحالتها في إحياء السلام يقيم هذه الموازنة لينفذ من خلالها إلى معالجة المحور الموضوعي الرئيسي الذي قامت عليه للقصيدة كلها.[2]

وثمة نموذج أخر لعبيد بن الأبرص إذ يبدو وانشدا اللوحة الطللية إلى الغرض الرئيس أكثر وضوحا فعبيد يحدثنا عن انتمائه القبلي وتعلقه بقومه من بني أسد بعد أن تشتتوا لما واجهوا نقمة كنده وحمير فيعمد إلى الطلل ليضر فيه كل ما تنطوي عليه تجربته الموضوعية فالديار بعد ان كانت عامرة بقومه وهو فيها جمع أصبحت بسابس قفراء خالية إلا من الوحوش فالمنزل والأطلال رسوم توشك على الاندثار والفناء يقول:[3]

أَمِن مَنزِلٍ عافٍ وَمِن رَسمِ أَطلالِ* بَكيتَ وَهَل يَبكي مِنَ الشَوقِ أَمثالي**
دِيارُهُم إِذ هُم جَميعٌ فَأَصبَحَت* بَسابِسَ إِلّا الوَحشَ في البَلَدِ الخالي**

إذن هنا منزل عبيد لم يبق من الإطلال إلا رسومها كما لم يبق من قومه إلا أثارهم

1 –خصوبة القصيدة الجاهلية، محمد صادق من عبد الله، دار الفكر العربي د. ت ص 150 مدخل الى ..... القصيدة ص 8.

2 –شرح المعلقات العشر التبريزي تحقيق محي الدين عبد الحميد ط1 1964 ص 315.

3– ينظر شرح المعلقات العشر التبريزي تحقيق محي الدين عبد الحميد ط1. 1964 ص 315.

ومن هنا يمكننا القول أن وظيفة الطلل هذه وظيفة أدائية رمزية افرغة اللومة الطللية من مدلولها الموضوعي وذلك ما يطرد في عشرات القصائد المكتملة التي افتتحت بالطلل.

الفصل الثاني : المكان بين الحضور والغياب في الشعر القديم

المبحث الأول:الصورة المكانية في الشعر الجاهلي

المطلب الأول :المكان والاغتراب النفسي:

يعد المستشرق فروم أول من قدم للاغتراب بوصفه مصطلحا وبوصفه مكون نفسيا،وذلك في تعريفه للاغتراب هو ما يعانيه الفرد من خبرة الانفصال عن وجوده الإنساني وعن مجتمعه وعن الأفعال التي تصدر عنه فيفقد سيطرته عليه وتصبح متحكمة فيه.[1]

فلأحظ من خلال التعريف أن الاغتراب ليس إلا معاناة داخلية بالنسبة للإنسان أما الانفصال عن عالمه فهذا نتيجة الإحساس الداخلي التي يشعر الإنسان بالضياع بها، وفقدان السيطرة بحيث يفقد المغترب السيطرة على تلك الأحداث والحالات النفسية التي يمر بها ويغدو نابعا لها.

لقد بدا الاغتراب قدر الشاعر العربي القديم فقد فرضته عليه ظروف بيئته القاسية حيث إن حياة البداوة والمتميزة بعدم استقرارها أجبرته على التغرب والانتقال من مكان إلى مكان أخر، فحياة العربي تضرب في المتاهات بلا انقطاع، ورحيله لا يهدأ سعيا وراء المطر والحصول على الكلأ وهكذا كانت مصطلح القصائد الجاهلية حديثا عن الأطلال بقايا الوطن المهجور لأنه يمكن القول إن الوطن بنسبة إلى القبيلة ما هو إلا ذلك المكان المحدد الذي توجد فيه هذه اللحظة التاريخية المعينة. [2]

بحيث هنا يتبين أن الإنسان يرتبط بوطنه ارتباطا وثيقا وتنجم علاقة محبة بين الفرد والوطن أي المكان الذي ولد فيه تشده إليه دوما.

إن حياة الإنسان العربي شاعرا كان أم غير ذلك في العصر الجاهلي تميزت بأنها حياة بدوية قائمة على أساس من الترحل والانتقال، هذه الحياة كانت دافعا له لتشكيل مكونات الاغتراب في ذهنه وتعتبر هذه النقطة من بين أهم الملامح التي تشير إلى عناصر الغربة المكانية وتذكر الأماكن التي من

1 – سلامي سميرة، الاغتراب في الشعر العباسي، القرن الرابع الهجري، دار الينابيع – دمشق–سوريا ط1, 2000، ص19.

2 – وهيب طنوس" الوطن في الشعر العربي " منشورات جامعة حلب– د– ب, 1979 ص 326.

شأنها إن تكون عنصرا مهما في إحساس الشاعر بالغربة وهذا ما يبدوا واضحا من خلال مقدمات الطللية التي عاشها الشعراء الجاهليون.[1]

هنا تبين أن الشاعر حين يغادر احد الأمكنة وينتقل إلى مكان أخر يحس بالشوق إلى ذلك المكان، فيدفعه الشوق إلى البحث عن بعض ملامح الذكريات النفسية فيكون لهذه الذكريات أثرها في تشكيل عناصرها الاغتراب النفسي لدى هذا الشاعر.

إن الوقوف على الأطلال يمثل نقطة مهمة في مسيرة الاغتراب لدى الشاعر العربي الجاهلي منذ وقف على الأطلال ومنذ كان متحمسا لتلك المواقف التي من شأنها تشكل عنصرا مهما من عناصر التشكيل النفسي لديه.

مثلا هناك لبيد بن ربيعة يبدأ معلقته بالوقوف على الأطلال ويسأل عن الذين ذهبوا وغادروها وعن ذكريات التي مرت به، بحيث امرء القيس له تجربة خاصة في الاغتراب عن الديار والوطن والأماكن[2].

فالطلل هنا يكشف عن اغتراب مكاني واغتراب وجودي.

إن هذه المقدمة الطللية لم تكن وحدها المسيطرة على مقدمات القصائد العربية في تلك الحقبة، بل ثمة مقدمات أخرى كحديث النفس للنفس, أو إبراز الجانب الحكمة في المقدمة, أو المقدمة الغزلية, كل هذه الأشكال التي استطاع الشعراء أن يدخلوا من خلالها إلى مواضيعهم الشعرية التي أرادوها من خلال مقدماتهم تظهر في قصائدهم, غير أن المقدمة الطللية تميزت بتجويدها وحسنها, وإيداع الشعراء في وصف الديار وحديث عن الأطلال, وغياب صورة المحبوب, كل هذه النواحي

1 – نفس مرجع السابق ص 19.

2 – عبد الرحمان المصطفاوي, الكندي أمرأوا القيس بن الحارث, ديوانه, دار المعرفة, بيروت. لبنان ط2/ 2004 , ص 95 بتصرف.

أسهمت في تعميق الأزمة النفسية لدى الشاعر من جهة, كما أسهمت في الإبداع الشعري ضمن المقدمة الطللية.[1]

ولقد تركة عناصر المقدمة الطللية في نفسية الشاعر تأثيرا يحمله على الاغتراب النفسي فيحس بصعوبة ذلك الموقف على نفسه ويشعر انه في وحشة ووحدة.

هنا تبدو ملامح الاغتراب واضحة في الأشعار بعض الشعراء حيث يتحدثون عما حل بهم من مصيبة بفقد عزيز عليهم مثلا فتصبح الأرض ضيقة عليهم وتبدوا الدنيا لا مفر منها، فشدة الحزن تمر بحالة قنوط النفسي لدى الشاعر.

ومن مظاهر الاغتراب النفسي وما يقاسيه الشاعر من مشاعر جياشة جراء فراق المحبوبة، أو فراق الأهل والعشيرة، فإنه يحاول أن ينسى تلك المكونات إلا إن نفسيته تبقى متعلقة بأولئك الأشخاص الأمر الذي يجعله تحت ا لم الاغتراب الدائم.

فمثلا تميم بن مقبل يفتتح قصيدته بالاستفهام عن مكان سلوان القلب عما علق فيه من الذكريات، فيسمح عنها ويبتعد عن تذكره كي لا تزيده أسى واغتراب.2

فإن الشيب ظهر في عارضي الشاعر، ولا بد أن يكون له الأثر البالغ في طبيعة حياته اليومية ومن بينها أن ينزجر عن الحياة الهوى والعشق والوله يقول:

هَلِ القَلْبُ عَنْ دَهْمَاءَ سَالٍ فَمُسْمِحُ** وتَارِكُهُ مِنْهَا الخَيَالُ المُبَرِّحُ**
وزَاجِرُهُ اليَوْمَ المَشِيبُ فَقَدْ بَدَا**بَرَأْسِيَ شَيْبُ الكَبْرَةِ المُتَوَضِّحُ**
لَقَدْ طَالَ مَا أَخْفَيْتُ حُبَّكِ في الحَشَا*وفي القَلْبِ حَتَّى كَادَ بِالْقَلْبِ يَجْرَحُ**[3]

[1]أنظر،عطوان حسين(1989)،الشعر في خرسان من الفتح وفي نهاية العصر الأموي دار الجيل بيروت لبنان ط2 ص2012 .

2- ابن مقبل، ديوانه. ص 53.

3 - دهماء: امرأة ابن المقبل، سال، نيب وتسلى، ممسح: مبرح: يؤلم ويجهد.

حينما ارتبط الحب بالعاطفة، والجوانب القلبية كانت لابد له أن يؤثر في نفسية الشاعر، فهو قد بدأ القصيدة باستفهام يكشف لنا عما تجمع في نفسيته من الأسى والحزن على ما كان من الفراق وألمه، وهذا الاستفهام يبن لنا الشاعر يمر بحالة نفسية متأزمة.

يتبين من خلال القول السابق إن الشاعر يكشف عن كتمانه الطويل لألم الحب هذا فهذا جعل من الاغتراب متعمقا في نفسه فطول الكتمان يقابله طول الاغتراب، وطول إحساس بالغربة هكذا ظهر لنا الشاعر تميم بن مقبل في اغترابه النفسي.

وفي الأخير يجد ربنا القول إن المكان كان له حضورا قويا وفاعلا في النفس الإنسانية إذ يرتبط بنمو الإنسان منذ نعومة أظافره فيختزن أشياء كثيرة من العواطف والذكريات الإيجابية والسلبية، فالمكان هو جزء لا يتجزأ من حياته لذلك نجده يشكل حضورا قويا عند كثير من الشعراء الجاهليين وغيرهم.

فالطلل يمثل المظاهر المتعددة والمختلفة قناع الشاعر للولوج إلى عالمه الباطني والوصول إلى فكرة الأشياء وجوهرها،كما اخذ اهتمام بالمكان يزداد من طرف بعض المفكرين فكان له الحضور الطاغي في المجلات النفسية وكذا الاجتماعية والفلسفية ومنها جاء الإطلال كعنصر بارز في مطلع القصائد إذ هي الوعاء الذي يصب الشاعر فيها ما يحمله من مشاعر وأحاسيس، فأصبح الشعر الجاهلي يعبر عن تجربة الشاعر العربي العاطفية والوجدانية بمختلف جوانبها النفسية.

المطلب الثاني :الدلالة الرمزية والإيحائية للأمكنة:

إن الشعر العربي لم يكن بعيدا في مضامينه عن الرموز والإيحاءات الخفية فهو من الوسائل التي التفت إليها الشاعر، فاهتموا بتوظيفه اغنائه خدمة لغاياتهم في بلوغ الإتقان الفني، فكثيرا ما كان الرمز يرمز إلى مكانه ومنزلته التي سلبت منه كي لا يفصح عنها الشاعر مباشرة، وتمنح الدلالة الرمزية والإيحائية الأديب مساحة إبداعية، تجعله يتجاوز التصريح والمباشرة إلى أفاق من الدلالات الواسعة والرؤيا العميقة للأمكنة.

رمزية المرأة:

إن حضور المرأة في التراث الشعري القديم، فقد ارتبط بالمكان وبخاصة-مكان الأهل-بفقدان المرأة الحبيبة عند الشاعر العربي فهي عامل التواجد الإنساني إذ كان نظرة المجتمع إلى المرأة عن طريق امتزاجها بالمكان، وإعطائه دلالة الحياة والألفة " فالأرض العامرة مرتبطة بالمرأة، وهذه الأخير رمز العطاء والعمران والتواصل". ولذلك فرحيلها عن المكان أو منع الشاعر من التواصل بها يعني أندرس معالمه وتحوله إلى إطلال متهدمة.1

يتبن من خلال الكلام السابق إن المرأة بالنسبة للشاعر هي مركز استقراره ومصدر إلهامه بحيث يذكر الشاعر المرأة في كل مناسبة للقول فيفتح بها قصائده ويقف على أطلالها باكيا ومستنجدا بشوقها ووحشتها ذاكرا مكانها التي تسكن فيه رابط حبها بحب بيئته. ويهيج فيه حب بيئته بحب محبوبته.

لقد كانت المرأة صورة الحس الانثوي التي تفرض نفسها بنفسها على الشاعر فقد رمز إليها الشعراء بالدمية حيث كان بين العرب في اليمن والحجاز وغيرهما فيما يظهر مصورون ومثالون ملئوا معابدهم بتماثيل ألهتهم من الحجر والمعدن والخشب2،ولا بد من أن الكنائس المسيحية واليهودية كانت خالية بالتماثيل الحياة الجاهلية كانت حياة وثنية،الدمى والتماثيل تصاوير لربات قد عبدها الجاهليون بحيث كانوا يقدسون تلك الأصنام بمختلف الأشكال والألوان وذلك بتقديم القرابين وتدور لها لنيل رضاها وشكرها على ما قدمت لهم من هذا ما كانوا يعتقدونه ويأمنون به والتشبيه بالدمية والذرة ومثال ذلك في شعر النابغة الذبياني إذ يقول:3

أَو دُرَّةٍ صَدَفِيَّةٍ غَوّاصُها ***بَهِجٌ مَني يَرَاها يُهِلَّ وَيَسجُدِ

أَو دُمِيَةٍ مِن مَرمَرٍ مَرفوعَةٍ* بُنِيَت بِآجُرٍّ تُشادُ وَقَرمَدِ**

1 - ينظر. لسان العرب، ابن متطور (ت 5711) تحقيق: نخبة من الأساتذة، دار المعارف، مصر, 1981.

2- ينظر. احمد محمد الحوفي: الغزل في عصر الجاهلية ص 371.

3 - النابغة الذبياني: الدوان ص 71.

هنا من خلال القول السابق وقول الشاعر أن المرأة شبهوها بعدة مواضيع التي كان بلقاها فيها ومثال ذلك النابغة قال إنها المرأة الذرة التي يلقاها الغواص بعد طول الانتظار وجهد ومشقة وتعب وغوص وماء وجدها شكر الله ساجدا، أما في البيت الثاني شبهها بالدمية التي صنعة من مرمر وشيدت بأجر قرميد، وفي مثل هذا جاء القول " امرأ القيس":1

وَيَا رُب يَوْمٍ قَد لهَوْتُ وَلَيْلَةٍ**بآنِسَةٍ كَأنهَا خَطُّ تِمْثَالِ**

كَأنَّ على لَبّاتها جَمْرَ مُصْطَلٍ * أصَابَ غضاً جَزْلاً وكُفّ بأجزَالِ**

هنا شبه المرأة بالتمثال محاط بالقداسة الرهبانية.

كما عرفت أيضا القصائد الشعرية الجاهلية حضورا جزئيا للحمامة تبدى في الصور المتعلقة بالمرأة في سياق البعد الرمزي، باعتبارها الأم الكونية الكبرى إذ أن الحمامة ارتبطت بالميثولوجيا القديمة حيث الفكر الديني السامي أعطى نظرة للحمامة أنها الطائر الوديع، ويقف عبيد ابن الأبرص متأملا مورد الماء الذي كان يرتاده بغية لقاء حبيبته إذ يقول:

وَخَلا عَلَيها ما يُفَزِّعُ وِردَها*إلّا الحَمامُ دَعا بِهِ وَالهُدهُدُ**

فَدَعا هَديلاً ساقُ حُرٍّ صحوَةً*فَدَنا الهَديلُ لَهُ يَصُبُّ وَيَصعَدُ[2]**

ويتبين من خلال الكلام السابق أن الشاعر في مكان خلوه يحيط به سوى الحمام الذي يعلو ويغدو نحو السقي لذلك بينت هذه الحمائم بديلا رمزيا وإيجابيا للمرأة المعشوقة.

وقد ظهرت الدلالات الرامزة للحمامة في الفضاء الشعري القديم لترتبط بمعاني الأسى والتحسر، فكانت الحمائم الناعية ترجمان الألم الذي سطا على القلوب وقد تمثل الشعراء الجاهليون تلك النظرة الأسطورية في إشارة إلى العلاقة المرأة بالحمام تمظهرت في صفتي الرقة والإحساس بوساطة تجسيد التناظر التام بين رموز الربة الكبرى والمرأة الآلهة.

1 – امرؤ القيس: الدوان ص123.

2 – عبيد ابن الابرص، الدوان، تح، كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان, 1980، ص 22.

ومن هنا يمكننا القول أن الحمامة ارتبطت اشد الارتباط بالمرأة وكانت صورة لها كما ارتبطت بمحور أساسي من محاور تجربة الحب والعشق هو الحزن والفقر ولهذا فقد اكتسبت الحمامة جانبا عاطفيا خاصا.

بهذا التشبيه فهو يضرب في أعماق الوجود الإنساني أقناص الحقيقة إذا ما كثر ترددها يدلان على علاقة رمزية أبعد منا العلاقة الظاهرة بين الطرفين ولهذا نرى أن المرأة تكرر تشبيهها بعد مواضع ذكرناها المرأة الدمية وسنذكر المرأة الشمس والغزالة والمهاة.

لقد تعاورة الشعراء الجاهلون بتشبيه وجه المرأة بالشمس دلالة ورمزا على حسن وجهها وجمالها وقد استمدوا هذا التصوير من الطبيعة والشمس وكانت مقدسة عند الجاهلين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾[1]﴾

وان النجيرمي يذكر العرب الجاهلين كانوا يقسمون فيقولون " لا ومجرى الآلهة وبعضهم يقول: الآلهة يجعلها معرفة علما هي اسم الشمس التي تعبدها، سموا عبد الشمس، وعبد شارق ودلت دراسة النقوش التي وجدت في الجزيرة العربية على أن الشمس كانت معبودة عند الجاهليين يقول " ديتلف نلسن"« في وسط ذلك الجمع من الآلهة (شمس) »

فالجاهليون قد عبدوا ثالوثا مكونا من القمر والشمس وعشتار وبهذا يقوى الشاعر الجاهلي على تشبيه المرأة بمعبودته إن لم تكن المرأة الذي ذكرها في شعره ذات صفة قدسية عنيدة.2

فقد كان الشمس قديما هي الأم المعبودة فهي التي تهب الحياة والخصوبة، لما حظيت من قداسة عند العرب فكانوا ينقشون على جدار الجزيرة العربية دالة على إن الشمس كانت معبودة عند الجاهلين وهذا ما جعل الشاعر بيئته ومكانه يشبهها ويرمز لهاو بها.

1- سورة فصلت، الآية 37.

2 – ينظر نصرت عبد الرحمان: العورة الفنية في ضوء النقد الحديث ص112.

ونستنتج إن المرأة شكلت تيمة أساسية كشفت عن حضورها الواسع والثري بمعانيه ودلالاته، بوجهة عبرت فيه عن انشغال الشاعر بها وهي هنا تبين لنا وتبرز العلاقة بينها وبين مكنونات الأرض أو الوطن بعد الفراق، إذ أن الانفعال الناتج من فراق الحبيبة ينتقل إلى الأرض فتكون المرأة رمزا لذلك الفراق الأرضي وجزء من ذلك المكان وسببا من أسباب وجودها فيه.1 فالمرأة كانت حاضرة في الخيال الشاعر، وهو دائما ما كان يستمد محفزاته من الموجودات المكان كي تهيج مشاعره وأحاسيسه وهو في مكان القرية يحدث نفسه كأنه يكثر من لومها لهذا اتخذ الشاعر الجاهلي من المرأة رمزا لحنينه وأشواقه وبخاصة في المقدمات الغزلية حيث تصبح المرأة مرتبطة بتجربة الغربة التي عانى منها.

فالشاعر يعمق الدلالة الرمزية والإيحائية للمكان عبر ما جسدته المرأة وجعلته مناجاة بديعية يخرج إليها الشاعر، إذ أن الأرض هي الحبيبة وهي الأرض وصلابتها والوطن وكرامته، وهي منفذ من منافذ الانقلاب العاطفي يلجأ إليه الشاعر ليتخذ منها ملاذا.

فيعبر عن عاطفته اتجاه حبيبته وهي رمز لبلاده وشدة حبه لها يتخيلها بأنها تعاتبه وتتهمه بالغدر والهجران فمن اجلها تعرض إلى أنواع العذاب من نار وشوق والفراق.

ومن هنا تتبين أهمية دلالة توظيف رمز المرأة رمزا شعريا إيجابيا في الدلالة على الحركة الحياة وتبدلها ومنفذا الأحداث الشاعر ومدلولا من مصاديق المكان الذي يمثل ماضي الشاعر وحاضره.

رمزية الطلل:

المكان في الحديث لم يعد مكان الجغرافيا فحسب بل تحول إلى مكان يرمز به إلى الماضي السعيد ويبدو انه التحول إلى وسيله من وسائل التعبير الرمزي التي يصنعها الشاعر وبخاصة أن الطلب يقترب للمرأة بوصفها رمزا مؤهلا [2]ويعد أبطال العالم من عوامل التفريغ النفسي عما يختلج في نفوسهم من مكنونات أو معاناة إزاء قضية معينه وهذه المعاناة هي التي تفسر لنا دلالة الوقفة الطللية الرمزية في أكثر الأحيان

1 – ينظر المرأة بحث في سيكولوجية الأعماق ص 303.

2– ينظر، الصورة الفنية في الشعر الجاهلي: ص 131.

كانت التجربة التي عاشها الشاعر مصدر مهما من مصادر إلهامه واتبع الشعراء الجاهليون أساليب شعرية في إبراز صور المكان من أهمها كثرة الأماكن وتتابعها في البيت الواحد أو الأبيات القليلة يقول امرؤ القيس: [1]

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ*بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ.**

فَتُوْضِحَ فَالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُهَا**لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ**

تبين من خلال البيتين السابقين مجموعة من الأماكن (سقط، اللوى،حوامل،المقراة، الدخول) وهي ترتبط بمخيلة الشاعر وحالته التي كان يعيشها وأصبح هذا المكان بعدما كان مفعما بالحيوية مكانا معزولا ذلك أنه لم يعد سوى بقايا آثار لم تندرس بعد بشكل كلي الذي جعله محفزا لبث مشاعره الحزينة وما تركه المكان من أثر في نفسه فضلا عن إيغال الشاعر في خياله ليصطنع كل الدلالات الحيوية الخاصة بالطلل.

ونلاحظ أيضا أن الشاعر الجاهلي كثيرا ما كان يضفي على الطلل صفات الحي أي يخبره و يستخبره ويناجيه ويستلهمه و يتبرم منه حين لا يجيب عن سؤاله، كما يتبرم امرؤ القيس في لاميته لأن الأطلال استعجمت ولم تنطق إذ يقول:

يا دارَ ماوِيَّةَ بِالحائِلِ*فَالسُهبِ فَالخَبتَينِ مِن عاقِلِ**

صَمَّ صَدَاهَا وَعَفَا رَسْمُهَا, * واسْتَعْجَمَتْ عن مَنْطِقِ السَّائِلِ**

من هذا المنطلق يظهر أن الدموع والشكوى كان لهما النصيب الأكبر في حياة الشاعر المعبر عن ملاله من الديار الخالية من أهلها مكونة لديها اتجاها محددا في وضع التفاصيل الفنية والموضوعية التي تحمل مرارة الحياة وقسوتها المفجعة لاسيما وهو يقف على أرض لم يحفل بأيامها ولم يأنس بشبابها

1- امرىءالقيس, الديوان, تحقيق, محمد أبي الفضل إبراهيم, ص 7-9.

وصباه فهي مرحلة انفعالية جادة عبر عنها كثير من الشعراء الجاهلية منهم على سبيل المثال بشامة بن الغدير:1

فَوَقَفتُ فيها كَي أُسائِلَها* غَوجِ اللَبانِ كَمِطرَقِ النَبعِ**

كَعروضِ فَيّاضٍ عَلى فَلَجٍ ***تَجري جَداوِلُهُ عَلى الزَرعِ

وعلى الرغم من ذلك أجد أن الأطلال تمثل وجدان الشاعر موقفه الفكري سواء أكان ذلك في شكل عوامل طبيعية من الرياح والأمطار أو في صورة وصف صور الحرب والغزوات بشكل واضح فالأطلال ما هي إلا رموز وإيحاءات بارزة في الشعر الجاهلي فحتى أسماء النساء فهي رمز مجسدة من خلال عواطف الشاعر التي تدور حول ديار الحبيبة الراحلة، البكاء على الحظ التعيس، وسائل رمز المحبوب، السكون والموت صورة اليأس المعبرة عن الوجود الرمزي، رمز تخلفه رحلة الشمس على الإنسان، رمز محاولة استرجاع الماضي المفقود، رمز لتجربة الألم و الحرمان من الوطن المكاني.

إذ كل هذا يدل على سعة المساحة التي شكلت مادة شعرية غنية الشعراء في التعبير عن تجاربهم في رسم صورة الطلل و تعابيرها [2]

إذن كل رمز له رمز ودلالة، الرمز هو جزء مهم من الشخصية الحضارية للأمة ...وتأخذ عمقها من التاريخ الحضاري والاجتماعي للبيئة المعاشة.[3]

1 – رجاء لازم رمضان: الصبر والجوع بين المثير والاستجابة في الشعر ما قبل الإسلام أطروحة الدكتور: كليه الآداب جامعه بغداد 2004م ص 144-146.

2 – دكتور، جمال عبد ربه حمدان الجبوري: الطير ودلالته في البنية الفنية والموضوعية للشعر العربي قبل الإسلام، دار الينابيع ط1، دمشق 2010 ص31-32.

3 –ينظر، دكتور عبد العزيز: بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية الأسطورة والرمز مؤسسة الانتشار العربي، ط1، لبنان 2009م ص 47-48.

حتى الوشم أكثر منه الشعراء الجاهليون لتشبيه بالطلل بجامع الثبات والديمومة في كل,كما شبه أبي سلمى رسوم الديار المقفرة كلوشم في قوله:

هاجَ الفُؤادَ مَعارِفُ الرَسمِ**قَفرٌ بِذي الهَضَباتِ كَالوَشمِ**

فلعل توظيف الوشوم بدلالة بقاء موجودات الطلل وثباتها يلوح في للناظر الشاعر أن المرأة الحاضرة في طلبها المهجور فهناك الكثير من المعاني التي يستطيع الشاعر استخدامها لتوضيح فكرة الثبات.[1]

ولهذا أستطيع القول مما سبق أن الإتيان بالوشم دلالة بقاء موجودات الطلل وثباتها يلوح لنظر الشعر أن المرأة الحاضرة في طللها المهجور، فهناك الكثير من المعاني التي يستطيع الشاعر استخدامها لتوضيح فكرة الثبات، ولا سيما وهو صاحب اللغة الشعرية القادرة على احتضان أي معنى أو موقف يراد تجسيده ولهذا أستطيع القول: أن الوشم هو إيحاء بوجود وهمي للمرأة في رحابه.

إذن تميزت القصيدة الجاهلية بهذه الوقفة التي أصبحت جزءا أساسيا فيها وتعددت المذاهب والتغيرات، فالطلل يسعى الشاعر من خلاله إلى تحقيق المتعلق في القصيدة ذلك أن الشاعر الجاهلي يحتاج قبل أن يطرق غرضه الرئيسي إلى جو شعوري يمهد له الطريق للوصول إليه، وتحقيق مبتغاة في الأخر.

فاللحظة الطللية أو مقدمة الطلبية لها القدرة على مس مشاعر الإنسان وأحاسيسه إذا أنها إحدة من الشذرات المضيئة التي يمكن أن يصل غيرها إلى إحباطات مكبوتات المجتمع الجاهلي وإلى تطلعاته وأشكال انسلابه بها إي هي وسيلة من وسائل إغناء فهمنا **لمجتمع معين**[2]. **وتجسد الحضور** والغياب بمعنى **أخر، برهة التحول من الماضي** إلى الحاضر فهي تختزن الماضي كنقيض مباشر للحاضر

1 - ينظر، دكتور حسن الجبار محمد شمسي: **ملامح الرمز** ص256.

2 - **يوسف اليوسف**: مقالات في الشعر الجاهلي، دارالحقائق، ط4 1985م، ص 118.

وكمطابق صميمي للمستقبل المأمون وهذا ما يفسر المثول الدائم في المطلع الطللي للقصيدة بعكس الحاضر الذي لا يمثل سوى اتضاعا مرعبا لا يكشف عن جوهريته إلا عبر صدمة بالماضي المشرق.[1]

إن من تتبع الشعر العربي القديم،و يتصفح دواوين الشعراء وما فيها من قصائد ومقطوعات يدرك إدراك أوليا في وجود قالب فني يتحرك فيه الشعراء سواء من حيث الموضوع أو من حيث الصباغة فكان هم الشاعر الأول هو كيفية افتتاح قصيدته بمقطع طللي يسهل له الأمر في سلسلة أفكاره وبناء قصيدته بحيث أصبح الطلل أي الوقوف عليه سنة فنية أو طقسا مقدسا يبدأ به الشاعر قصيدته ثم يتجاوزه إلى ما يهدف إليه من هذه الأغراض المكون البنائي للقصيدة الاشتراك مع الإطلال[2].

وكثيرا ما كان الشاعر يستعمل الرمز كدلالة على ما يريد التعبير عنه.

فالشاعر هو الذي يرسم الأشياء والرموز ويسقطها على الإطلال فهي أوعية فارغة وقوالب فنية خالية من أي معنى إلا ما يضعه فيها الشاعر من المعاني والمدلولات التي تتلاءم والمعنى العام الذي يريده من القصيدة.[3]

يتبين من خلال ما سبق أن الغاية الرئيسية من استخدام هذه الألفاظ كرموز لأشياء آخر فالظاهر أن الشعر الجاهلي معظم ألفاظه ذات دلالات رمزية وسبب ذلك لإمتلاكه ميزة مشتركة هي كثرة الدورات والاستكمال.

كما صور زهير رمزية الشر والحرب والخراب والدمار من خلال ذكر الريح والدهر والزمان والمطر والحرب فيقول:

حَيِّ الدِّيارَ التِي أبلَى معالِمَها**عواصفُ الصَّيْفِ بِالْخَرْجاءِ والْحقَبِ**

1 - ينظر ما قالات الشعر الجاهلي ص 121.

2- ينظر، دكتور محمد عبد المطلب: قراءه ثانيه في الشعر امراه القيس الشركة المصرية العالمية،لونجم،

3 - د، حسن مسكين: الخطاب الشعري الجاهلي رؤية جديده، ص 25.

وهناك صوره بشعة عميقة الدلالات يصور فيها زهير **الحرب لينفر** من القبائل، ويحذرهم من ويلاتها وعواقبها فيقول:[1]

وَما الحَربُ إِلّا ما عَلِمتُم وَذُقتُمُ * وَما هُوَ عَنها بِالحَديثِ المُرَجَّمِ**

مَتى تَبعَثوها تَبعَثوها ذَميمَة ** وَتَضرَ إِذا ضَرَّيتُموها فَتَضرَمِ**

فَتَعرُكُم عَركَ الرَحى بِثِفالِها**وَتَلقَح كِشافاً ثُمَّ تَحمِل فَتُتئِمِ**

فَتُنتَج لَكُم غِلمانَ أَشأَمَ كُلُّهُم* كَأَحمَرِ عادٍ ثُمَّ تُرضِع فَتَفطِمِ**

بحيث هنا زهير يخاطب عقولهم بأسلوب فيلسوف حكيم يحثهم عن ويلات الحرب التي ذاقوا مرارتها وحصدوا نتائجها فلا بد من الابتعاد عنها والالتزام بعهد السلام لأنها لا تغل غير الموت والدمار والخسران.

وفي رمزية الموت والسكينة وفقد عناصر الحياة صمتت ديار عبلة وعجزها عن الرد ومحاولة استنطاقها رمزية التي تبعث الخوف في النفس وعدم اليقين واستنطاق عنترة للمكان يعبر عن فقد المكان لعنصر الحياة يقول عنترة:[2]

يا دار عبلة بالجواء تكلمي**وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي**

هنا الشاعر يتحدث عن الديار بهذه اللهجة فانه يبرز لحظه الانفجار الانفعالي لا يعرف **حالة الديار وإنما** يصف انفعاله العميق إزاء الديار التي **أصيبت بالموت والخراب.**

1 - مفيد محمد قميحة شرح المعلقات سبعه ص 75-76.

2-المرجع نفسه ص 123.

فالحجارة رمزا من رموز الفناء والمشكلة من مشكلات الوجود التي أقلقت الشاعر.

فالأطلال ظاهرة بنائية في القصيدة الجاهلية مليئة بالرموز والدلالات الإيحائية الغامضة التي تستحق سير أغوارها والكشف عن تجلياتها وما تحيل عليه من الأشياء مهمة، هذه البنية حملت انعكاسات نفسية لها صلة مباشرة بالشاعر وانفعالاته النفسية، بنية لها شرائح عدة بإمكانها أن تنتقل فكرة الشاعر ورؤيته بتقنية فنية تتجلى في الرموز والإيحاءات فأصبح الشاعر مرتكزا تنطلق منه أذكار الشعراء ومشاعرهم ليقع في قلب المتلقي فيثير مشاعره ونفسيته لذا تحدث الهزة الشعورية والتي هي أساس الشعر ورونقه.

رمزية الصحراء:

لقد كانت الصحراء طبيعية لها سماتها الخاصة والمميزة فظهر بالصورة جبلية واضحة في الشعر القديم،فكان لها تأثيرا على القصيدة الجاهلية ونجد صورة الصحراء في الشعر ذات رمزية خاصة فالشعر عاش في تلك الصحراء وتفاعل معها مباشرة فصارت رمزا شعريا للعديد من الشعراء, فقد أخذت في الشعر أبعادها المختلفة وتشكلت بالصيغة عديدة ارتبطت برؤية ونفسية خاصة لحظة تأملها لها.

فالصحراء تركت منزعا قويا في نفسية الشاعر وجعلت علاقته وارتباطاته الحسية والمعنوية وطيدة بهذا الواقع المكاني مما أنتج طابعا متلونا متعدد الأشكال لهذه العلاقة فكانت ما بين التجاذب أحيانا والتنافر أحيانا أخرى.[1]

شكلت الصحراء الشعر الجاهلي في معظمه ما زال يمتلك ذات الالق والمقدرة على الاندهاش خاصة في الوصف وتقاليد الشعرية في مستهل القصائد المطولات مثل الوقوف على الأطلال ووصف الكائنات ورحل والمشاعر الذاتية والهواجس والذكريات وربما لن نجد في كل شعر الذي أنتجته العرب حول المكان مثل ذلك الإنتاج العربي الكثيف عن الصحراء ولا مثل لتلك العلاقة بين الشاعر والصحراء وذلك الإبداع الشعري الذي شكلته الصحراء كفضاء ملهم تسلل أيضا إلى الصور الشعرية

1 -أمل المفرد عابد، المكان في الشعر الجاهلي، عمان الأردن، (د. ط) 1997م ص 24.

الحديثة والى **الإشكال الإبداعية** الجديد ومثل ما ارتقت الصحراء بالشعر العربي فقد **أصبحت هي رمزا من رموز الثقافة العربية.**[1]

و يجدر بنا **الإشارة** إلى **أن** المكان في القصيدة الجاهلية ورد بكثرة لهذا فالتركيز على المكان في الشعر **يعطي عمقا وغزارة.**

فالشعراء في حديثهم عن الصحراء عملوا على إبراز ما فيها من أهوال ومشاق ومخاوف**،وعلى** الرغم من أن في الصحراء برمالها و **حجارتها** وصوابها جمالا وسحرا إلا أن ذلك الجمال والسحر لم يلفت انتباه جاهلي الذي شغل نفسه بوصف وحشيتها **وإقفارها** وجذبها و**حر هجيرها** بالبيئة الصحراوية مصورة تصويرا حقيقيا سماء صافية ترسل **أشعتها** القوية على رمال الصحراء فتبدو كأنها **الذهب** النضار ويسطح قمرها وتلألأ نجومها في ليل هادئ جميل لهذا كانت الصحراء محركا قويا في نفس الجاهلي حيث كانت تربطه بها علاقة وطيدة فقد وصف طبيعة الصحراء، بكل ما فيها في **مسالك ورياح وأمطار** وحيوان وبما يتصل بها حتى في المفردات والألفاظ كان للصحراء دور مهم فيها منها أسماء وصفاتها وما يتعلق بطبيعتها الساكنة والمتحركة **إضافة** إلى **الألفاظ المتعلقة بالحياة وسائل** العيش والتنقل وما تفرضه طبيعة المجتمع الصحراوي من حركة ونشاط وكر **وفر** في ميدان المعارك **والحروب.**

فقد وضح العرب للصحراء عددا من الأسماء في معاجم اللغة المختلفة تلمح فيها صفات ومعاني الصحراء ونلحظ دلالاتها على ما تمتاز به الصحراء من غيرها من أنواع البقاع والأراضي وهي الأصل صفات ونعوت في للبقاء التي تنفرد بصفات لا تخرج عن المعنى المفهوم للصحراء وما يدل عليها في مفهومها العام وهذا يدل دلالة واضحة على مقدرة العرب في ذلك الزمان على اختيار اللغة المناسبة للدلالة على المعنى المائل في الذهن وعلى **مقدرة واضعي اللغة من تسجيلها وتدوينها والحرص** عليها وتدل كثرة أسماء الصحراء على الاحتفاء والتقديس وحبهم لها والفخر بها واتساع الفكر

1-ينظر عن علاء الدين محمود وشعريه الصحراء عن صحيفة الخليج في 25 ديسمبر 2018

البدوي في استنباط المعاني والدلالات للشيء الواحد و كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى ونذكر بعض الأسماء التي وردت في المعاجم أو الإشعارالتي تدل على اسم الصحراء فهي تحمل صفات ومعاني ودلالات الرموز الصحراء وتختلف الصحراء الغربية من موضع لآخر حسب طبيعتها في الوسط والشمال والجنوب.[1]

ومن أمثلة هذه الصفات والأسماء العديدة التي تدل دلاله واضحة كيف أن العرب قد عنوا الصحراء واهتموا بها هي: البرية البسبس البلقع البهر البيداء،التنوف التيماء الجدجد الجو الخرق الدو دوم الديمومة السهب السهمج الصحاصح الصحراء الصرداح.[2]

المطلب الثالث:تجليات الأمكنة في الشعر الجاهلي:

تعد صورة المكان وتجلياتها من الصور الشائعة في الشعر العربي قديما وحديثا لما يملكه المكان من تأثير مباشر في نفس الشاعر الذي استطاع من خلاله التعبير عن قضايا وهو أجس متعددة سواء أكانت نفسيته أم اجتماعية أم سياسية أم فكرية. فالمكان له علاقة جوهرية بالإنسان بشكل عام وبالشاعر بشكل خاص، ولا يمكن النظر إليه بوصفه بعدا يحيط بالشاعر ولعل هذا ما يميز للشعراء فيما بينهم في توظيفهم للمكان بمختلف صوره.

لذا يمكن أن يكون المكان من أهم العناصر التي تشكل في جمالية النص الأدبي، ومهما أوتي الشاعر المقدرة على تجاوز واقعه بخياله الشعر فانه لا يستطيع الابتعاد كليا عن واقعه الذي تفاعل معه وشكل حياته، لذلك فهو يتخذ من هذا الواقع وسيله إلى بلوغ ذروة المجد بتحويله هذا الواقع البسيط شيئا محوريا مهما.

1 - تاريخ العرب قبل الإسلام، د، السيد عبد العزيز سالم، الناشر مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ص 66

2 - ينظر في بلوغ الادب في معرفة أحوال العرب تأليف السيد محمود شكري الالوسي ص 434.

وقد استلهم الشاعر أفكاره من الواقع حياته بطابعه البدوي وما يحمله المكان من مظاهر وصور جعلته يغوص من خلال شعره في ثنايا الماضي والحاضر حتى صارت بنية القصيدة تحمل في طياتها منها الإشارات ذات الدلالة الجمالية بكل أبعادها المختلفة ومن هنا كانت بالصورة التي يتطرق إليها الشاعر الجاهلي دالة على إحساس عميق ببعض المظاهر التي كانت في تضطرب في نفسه وترتبط في كثير من الأحيان بصور إنسانية مؤثرة يعيشها الشاعر نفسه وكان الشاعر يحرس أن تكون صورة مأخوذة عن واقعه المحسوس.[1]

والحديث عن حضور الصورة في المكان يشير إلى حضورها بوصفها رمزا يمثل حاضر الشاعر وماضيه مشكلا من خلالها وسيلة للكشف عن واقعه بكل ما يحمله من مظاهر وأشكال الحياة.

فالشاعر يتخذ من الطبيعة مادته ليصنع منها صورا تنبع من عاطفته وخلجات نفسه فهو يصور الليل إذا سجى والنجم إذ هوى والموج حين يتلاطم والرمل وهو متراكم والبدر عندما يتألق وصبح حينما يشرق بل هو يصف مالا يدركه ويصور ما لا يعرف كنهه النظر فيصف الحس ويصور الخاطر ويخرج من هذه المعنويات مظاهر فتانه يدركها الحس ويتأملها الشعور، و فكأنك ترى الكبد المقروح أو القلب الحقاق أو النفس الهاجس أو الطيف الزائر أو الخيال العابر ما لا تدركه إلا النفوس الجياشة بالشعور.[2]

يقول الذبياني:

أَرَسماً جَديداً مِن سُعادَ تَجَنَّب***عَفَت رَوضَةُ الأَجدادِ منها فَيَثقُبُ

عَفا آيَةَ ريحُ الجُنوبِ مَعَ الصَبا***وَأَسحَمُ دانٍ مُزنُهُ مُتَصَوَّبُ

وأبدت سوارا عن وشو كأنها *** بقية ألواح عليهن مذهب [3]

1- ينظر نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي ص308.

2-عبد العظيم قناوي الوصف في الشعر العربي ص 48.

3- النابغة الذبياني الدوان اعتنى به وشرحه حمدواطماس ص 22

يجسد هذا النص مظاهر وصور المكان الغابر المكان الذي نسج من خلاله الشاعر صورة جميلة مستذكرا من خلالها تلك الديار فتنج عن ذلك الصورة أبرزت المكان في حلة جميلة هذه الرؤية التي صاغها في شكل صورة شعرية كقوله: (وأبدت صورا عن وشوم كأنها بقية ألواح عليهن مذهب) فهذه الصور رغم ارتباطها بالديار إلا أنها تبعث الأمل في النفس وتبث شيئا من الطمأنينة في نفس الشاعر.

ويتضح لنا أن أهم تجليات ودلالات المكان تظهر في الأماكن التالية المكان والشاعر المكان والمرأة المكان والممدوح المكان والرحلة.

المكان والشاعر:

تعددت طبيعة المكان واستخداماته المختلفة وتنوعت دلالاته ووظائفه فهي تكشف بدورها قدرة الشاعر على التعامل مع المكان وتوظيفها فيها يخدم رؤية وهيكل القصيدة إذ يشكل المكان جزءا مهما من الحياة الشاعر وارتباطه الوثيق به كارتباط الجنين بأمه بالإضافة إلى تعلقه الكبير بالذكريات التي تراود خياله وواقعه فيتساؤل الشارع عن الديار التي أصبحت موحشة بعد أن غادرها وخرج منها بعد أن كانت عامرة تجمعه بأهله وأحبته فحوله من مسكن خرب إلى طلل مثير ومن حجم أصم إلى شاهد على لحظات مجد أو وجد.[1]

فالشاعر يستحضر المكان بأبعاد متعددة ذات الواقعي والخيالي والوهمي ويكفي أن الشاعر يعيش في المكان على مستوى الوجود الحقيقي ويسبح في المكان في عالمه الشعري ويقيم لنفسه وجودا فيه أو يعدل من صورة المكان الحقيقي كما يخترع المكان في الفن ويحتله بوجود فالمكان يحمل قيمته الشعرية حيث يعيد الشاعر إنتاج ما عرفه عن المكان وما استوحاه منه بل إن الشاعر الحق ينتج المكان شعريا من جديد وحين تلتقي حدود الواقع مع حدود الخيال وهذا ما نجده عند الشاعر

1- احمد درويش في نقد الشعر الكلمه والمهجر دار الشروق، ط1, 1996، ص 84

الجاهلي حرصا على بقائه في مواجهة الزمن ولجأ إلى أسلوب الحوار مع **المكان ومناداته وتحيته وذلك لعمق صلتهبه.**[1]

المكان والمرأة:

إذا تحدثنا عن المكان والمرأة يتبادر إلى الذهن ذكريات الشاعر مع المرأة في مكان وزمان ما فالمكان مرتبط حسب الشاعر بالمواضيع التي أقامت فيها المرأة وعاشت فيه،**وكذلك ارتبط برحلات** التنقل والتجوال التي قامت بها المرأة بحديثنا عن المكان والمرأة يتبادر إلى **أذهاننا الحديث عن الظعن** "ومن رؤية الأطلال تقفز إلى الخيال زهير صور الظعائن" **فيصف هوادج النساء و** سيرقا **قافلتهن على سفوح التلالو لمعان السراب".**[2]فكثيرا ما يلجا "زهير **بن** أبي **سلمى" للحديث عن المرأة وذلك باللجوء** إلى وصف الظعائن وكل الصور التي **أسرت** بصره أثناء تتبعه ليسرقوا **قوافلهن** وفي **هذا يقول:**

تَبَصَّر خَليلي هَل تَرى مِن ظَعائِنٍ*تَحَمَّلنَ بِالعَلياءِ مِن فَوقِ جُرثُمِ**
عَلَونَ بِأَنماطٍ عِتاقٍ وَكِلَّةٍ*وِرادٍ حَواشيها مُشاكِهَةِ الدَمِ**
كَأَنَّ فُتاتَ العِهنِ في كُلِّ مَنزِلٍ*نَزَلنَ بِهِ حَبُّ الفَنا لَم يُحَطَّمِ**[3]

هنا الشاعر يتحدث عن رحلة المرأة ومن الظاهر تعدد الأماكن بارزة في هذه **الأبيات فقد انفعل** الشاعر وأعجب بهذه **الظعائن ففي قوله "تبصر خليلي"** بمعنى الخليل الصاحب والظعائن النساء على الإبل والعلياء بلد وجرثم ماء لبني أسد،وأراد هل ترى ظعائن بالعلياء ومعنى تحملن رحلنا **وعلون** بأنماطاي طرحوا أعلى المتاع أنماطا وهي التي تفترش ثم علت الظعائن عليها **لما تحملن.**[4]

1 -عابد امل وفرج، المكان في الشعر الجاهلي الاردن جامعه مؤته, 1994، ص147
2 -**غازي ترمان عرفان الاشقر** الادب الجاهلي قضاياه اغراضه علامة جنونه ص371.
3 -علي حسن فعول ديوان زهير ابي سلمى ص104.
4 - ابو الحجاج يوسف بني سليمان بني عيسى المعروف بالإله النحوي الشمندري شرح ديوان ابي سلمه المزني، ص 4

فالشاعر يعتبر المرآة رمزا للاستقرار لأن وجودها في مكان ما دليل على وجود استمرار الحياة فكلما كانت المرآة الصالحة كلما صلح المكان فكما جاء في الأساطير وروايات العرب فأن المرأة تعتبر رمزا يدل على النماء والاستقرار.

ويظهر أن العلاقة بين الموضع والمرأة في هذه الرحلة علاقة جمالية:

وكثيرا ما يرتبط الحيوان بذكر الديار الحبيبة التي غادرت المكان وفي هذا يقول زهير أبي سلمى أيضا:

بِها العَينُ وَالأَرآمُ يَمشينَ خِلفَةً*وَأَطلاؤُها يَنهَضنَ مِن كُلِّ مَجثِمِ**[1]

فبعد رحيل حبيبته من تلك الديار عما بها السكون والظلام وأصبحت ملاذا ومرتعا للحيوانات والوحوش المفترسة بعدما كانت مفعمة بالحيوية والنشاط ومصدر الاستقرار والأمن.

" وكثير ما يأتي وصفهم للحيوان مرتبطة بذكر الديار التي خلت فسكنتها الوحوش بعد أن نزل المطر وأينع النبت فصارة مرتعا ومراحا "[2]

وهكذا يصبح المكان هو الفاصل أو الحاجز بين الشاعر و محبوبته ومن هنا لا يبدي الشاعر وصفا مكان أو تتبعا له كما فعل سابقا فالتالي يصبح المكان دلاله أخرى غير الدلالات السابقة.

1 - علي حسن فاعور, ديوان زهير بن ابي سلمى, ص 103.

2 - يحي الجبوري الشعر الجاهلي خصائصه، فنونه ط 6 مشورات جامعه فان يونس بنغازي ليبيا, 1993.

المكان والممدوح:

ارتبط موضوع المدح في كثير من الأحيان بالمكان لما له دلالة خاصة وواضحة تختلف عن دلالات استعمال المكان في المواضيع الأخرى بمعنى أن المكان لم يكن مجرد حيزا فيزيائيا بل يشمل أبعادا ودلالات تختلف باختلاف مواضيع المدح ومثال ذلك قول زهير بن أبي سلمى يقول:

تَدارَكْتُما الأحلافَ قد ثُلّ عَرْشُها*وذبيانَ قد زلت بأقدامها النعلُ**

فأَصْبَحْتُمَا منها عَلَى خَيرِ مَوْطِنٍ*بَعيدَينِ فيها مِنْ عُقُوقٍ وَمَأثَمِ**

إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بالنَّاسِ أجْحَفَتْ * وَنَالَ كِرَامَ المال في الجَحْرَةِ الأَكْلُ**[1]

وصف الشاعر هنا المكان الطلل إي العرش الذي أصابه الهدم والانكسار والهلاك في قوله" **قد ثل عرشه**" ويستمر في توظيف المكان لكن هذه المرة بالمعنى المجازي في قوله" **أصبحتما منها على خير موطن**" وبهذا يقصد الممدوحان اللذان مدحهما ومن الظاهر أن كلمة موطن في دلالتها الأولى تدل على المكان أما في المعنى الثاني فقد جاءت في قوله"**بَعيدَينِ فيها مِنْ عُقُوقٍ** وَمَأثَمِ **و احزنوا وقعوا** في أمر شديد واصله من الحزن وهو ما غلظ من الأرض"[2]

إذا أستخلص من خلال الأبيات أن الشاعر وظف المكان بدلالتين الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية.

المكان والرحلة:

من أبرز السمات التي اختص بها الشعراء الجاهليون سمة **التنقل و** الترحال،وهذا راجع في العموم إلى طبيعة بيئتهم البدوية فقد تكون هذه الرحلة أما بحثا عن الكلأ والماء **أو** رحله صيد الحيوانات في الصحراء، وقد تكونوا تصوير الرحلة الظعائن،فراح الشاعر يجوب الصحراء من أجل التغلب على مصاعب الحياة و قساوة الطبيعة فاحتواء الشاعر يبعد المحبوب عنه ويتبدل المكان إلى اثر أو طلل هو ما جعل الشاعر يتحول إلى فوهة من حمم المكبوت النفسي في غليان إبداعي قوامه الغزل أولا وأخيرا

1 - علي حسن فاعور, ديوان زهير ابي سلمه, ص 86.

2 - ابو العباس احمد بن يحي بن زيد الشيباني ثعلب شرح ديوان زهير ابي سلمى ص 155

يلبي رغبه الشاعر بالوصف ويعوض حرمانه الذي يحوله إلى فقد وهو يعبر عن **إحساسه** في مخدع اللغة التي يختبئ وراءها يكشف نوايا المعنى في **إطار الرحلة.**

إن الحديث عن الحيوانات التي تشكل اللوحات المختلفة من خلال الرحلة عبر **الصورة العامة, يتيح للشاعر الجاهلي** أن يقف في رحبة التصوير الدقيق متأملا في الحياة معبرا عما تتطلبه **المواقف** المختلفة من تعبير مجسدا هواجسه وما يعتريه من **إحساس** ورغبة عبر الصراع الذي ينسجه للصورة **بالعامة والسمعية** منها بخاصة مستعينا بخبرته وملاحظته **الدقيقة لأحوال الحيوانات, والناقة واحدة من** وسائل الشاعر المتعددة في **رحلة التحدي** التي يزمع القيام بها ليقطع الصحراء المخيفة ومن هنا ينبغي **أن تتوافر فيها الوصاف الشدة والضخامة** بها ومخاطر الرحلة وقد حفلت الدواوين **الشعرية الجاهلية** بتلك الأوصاف.[1]

1 -**ينظر كتاب:** اساليب الصناعة في الشعر الخمر والناقة، محمد محمد حسين:74-85. **وينظر كتاب:** الطبيعة في الشعر الجاهلي القيس بمواضيع متعددة، بني جحر327, 344، **إحصائية توفيه لتلك الاوصاف**

فقوة تلك الناقة التي كانت ترافق الشاعر أثناء رحلته وقدرتها على التحمل في حله و **ترحاله** متعرض للمخاطر بحيث وصفها الشعراء بصوتها صوت الفحل[1] **أو صوت القوي المسمى ب(بالصريف)**[2] **والبغام**[3] **وتغريد الحمام** [4]وصوت البعير الذي يشبه ترنم طائر [5]**وإذا ما هيجت للحب** ارتفعت أصواتها **وحنانة بعضها** إلى بعض حتى لو كان حنينها دفء مخلوق فهو ابح الصوت[6] **وحنانة معوال** [7]وتعدد الأصوات مثل البربرة [8]**صياح الدجاج** [9]**والبسيسة والعياح والرغو**[10].

وهكذا استمر الشعراء بتشكيل مختلفة لها **وخاصة** التي أولعوا بها وذكرها في **أشعارهم منها، الثور** الوحش الذي عنوا به عناية كبيرة ورسموا كل حركة له وذكروا كل ما يتعلق به ولم ينصرفوا من الناقة إلى الثور الوحش تشبيها به لقوته حسب **وانما ليحسد صراع الحياة على وقف المنهج الذي اختطفه الشعراء لأنفسهم** من الفخر الذاتي وقد جعل الصائد يخفق كل مرة في **قنصه وهو يفعلون ذلك ليبقوا شبيه راحلتهم عزيزا قويا وأحبوا له الغلبة والانتصار.**

لقد وقف الشاعر أمام رحلته موقف المعجب المقدر لها, **فظهرت براعته وقدرته على التصوير** المؤثر الموحى، فمنحها من الشعر غير قليل من الثناء المسبوق بالوصف لتفاصيلها الدقيقة المتشعبة وأجزائها المختلفة فقد ذكرت الراحل بأوصاف دلالة جمالية،واحتلت موقعا مهما في خريطة القصيدة **الجاهلية وليس غريبا أن** يكون هذا الوصف وهذا الشمول فلا طالما كانت هذه الناقة وسيلة مهمة من **وسائل الشاعر لمدافعة** الهم ومضاضته بمثابة العلاج الناجح لأشد **الأم النفس حرقة ومعانات كما**

1 - طرفة بن عبد 12

2- بشر بن ابي حازم: ف 153/7/31, النابغة الذبياني: 79, أوس بن حجرق 26/20/30 ص 66-67, الاعشى ق 171/13/22.

3 - عمرو بن قميئة ق 37/4/3 البغام: صياح .. في الأصل، وبغمت الناقة: قطت الحنين ولم تمده.

4 - المثقب العبدي ف ه/37/29.

5 - الاعشى: 286/15/51.

6 - علقمة الفحل: ق 50/2-74/52-76.

7 - الشماخ: ق 460/4/40

8 - المصدر نفسه:ق141/32/5.

9 - المصدر نفسه:ق144/42/5.

10- المصدر نفسه:ق212/5/9.

كانت كذلك وسيلة للحاق بالأحبة ووسيلة للتغلب على الهموم وقد وجدناها تحتل في النفوس الشعراء الرتبة الثانية بعد الحبيبة للمرأة

يصف طرفة بن العبد ناقته في المقام تسلية الهم فيقول:[1]

وإني لأمْضي الْهَمّ عندَ احْتِضَارِهِ*بعَوْجاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي**

بحيث كان الشاعر الجاهلي دقيقا في أدائه الفني" فنانا في توظيف علامة الناقة بكل ما تحمله من دلالات للتعبير عن الإرادة والعزيمة"

لقد وجد الشاعر الجاهلي في حديثه عن الناقة في مشهد الرحلة متعة ولذة فنية كونها جزءا أصيلا من تجربته الشعرية وسيلة للتفريغ همومه فإذا كانت المقدمة لم تستطع استيعاب مشاعر المتأججة فان الرحلة تعد منفذا ثانيا لإفراغ انفعالاته وما يعانيه من احتقان داخلي.

المطلب الرابع :سيميائية المكان في الشعر الجاهلي:

إن الوجود الإنساني مبني على عنصرين أساسيين مهمين لا يقوم وجود دونهما مما عنصرا المكان والزمان, فهما يشكلان كينونة الوجود وكنهه وحقيقته ولا يقوم الوجود إلا بتوافر هذين العنصرين اللذين يشكلان النطاق الأوسع والأعمق لكل المفاهيم الأخرى التي تنبثق وتتجلى عنهما, فمهمة السيميائية في المكان هي البحث عن البنيه المشتركة التي تنخرط فيها جل الاسناق السيميائية بما فيها اللسان أي عن ذلك النموذج المبسط الذي يسمح بتقريب ظواهر مختلفة انطلاقا من بعض الجوانب المشتركة, ولئن تميزت القصيدة العربية القديمة عامة والجاهلية على وجه الخصوص بأقسامها من مقدمة ورحلة وعرض وخاتمة فان مقدمتها تأتي لسرد وقائع الارتحال شاخصة المعالم،فحضور المكان على متن شعري جاهلي يتسم في كثير من خصوصه بفاعليه المكان وقوة حضوره ذلك هو نص شعري متكامل للشاعر الجاهلي امتازت شخصيته بالتفكير الوجودي.

1 - محمد بلوحي اليات النقد العربي الحديث في مقاربة الشعر الجاهلي بحث في تجليات القراءات السياقية منشورات اتحاد الكتاب العربي دمشق 2004 ص168.

فالشاعر الجاهلي عانى من المكان وتلذذ به، وعكس رؤيته الداخلية وشعوره على ما **أمامه من الأمكنة**،[1] **ونلقى من يرى أن العبور الذهنية قد استمت للمكان عند الإنسان البدائي بأنه مظاهر** محسوسة تشير إلى **أماكن أو** مواقع لها خصائص **عاطفية** وكأنها شيء حي فهي مسالمة **أو معادية.**

فالمكان عميق الأثر في الحياة البشرية إذ ما من حركة إلا وهي مقترنه به وما من فعل **إلا وهو مستوح** لبعض دوافعي منه، **وهو** أعمق وأكبر، **واهم من أن ينحصر فيما يمثله من ظرف أو وعاء،وان يقتصر فيه على البين الثاني من مستوياته وقطاعاته بل وكل مناحي النفس أيضا تشهد على حضور** الكثيف وتعدد مظاهره، وتفصح عن أثره وتدفع **الإقرار بأنه جزء لا يتجزأ من كل الموجودات وكل** وجوه حركتها وسلوكها ولعله **ما من قارين للتجربة البشرية مثله فهو عمادها ومطرحها ومغذيها** ومصبها ومنطلقها وهو ترجمتها **أيضا.**[2]

إن معالم المكان كبير في الطريق تتبدى للشاعر فيذكر بأسمائها مطفأ لهذا الشوق لمنابع **التخليلية** وهبوطهم وحلهم وانتحالهم.[3]

إذ تبدو أسماء **الأماكن** في مقدمة الظعائن متكاثر تكاثرا لا يعلل بعودة **إلا الدلالة الجغرافية** لها بل في بالنظر في دلالتها النفسية حيث تحمل معاني الارتحال والتخييم والانطلاق والتوقف وتتلامع من **ورائها أشباح وأطياف المحبة وقد فرق بينهم النوى وشط بينهم البين فعاش الشعراء ترود أعيتهم الفضاء الفسيح.**[4]

1- قداسه المكان في الشعر الجاهلي ص2.

2 -**ينظر،** موسى حبيب المكان في الشعر العربي قراءه موضوعيه اجماليه دراسه منشورات اتحاد الكتاب العربي: د. ط. دمشق 2001م ص 7

3 -**ينظر،** منى يشلم, **دراسةسيميائيه سرديه لمقدمة** القنعاء في ديوان زهير بني ابي سلمى. **فمن كتاب النص الشعري قراءات تطبيقيه،** ص 365.

4 - **شكري فيصل تطول شعر الغزل بين الجاهلية والاسلام** ص 120.

بحيث يرتبط كل موضع بمعنى ويمتلك كل مكان مذاقا خاصا وطعم متميزا **مواكبا الأحداث** التي **امتزجت به أو** التي وقعت فيه فهي **الأماكن** التي اجتمع على رملها الأحبة **يوما وما أو** هي التي **شطت به بعيدا عن عينيه وقلبه.**

فصلة الشاعر بهذه الأرض هي (صورة أخرى لصلته بأحبته ولذلك فإنه يتسع لها ويضم عليها **قلبه** على مثال ما يتسع لأحبته ويضم عليهم قلبه له ذلك غالبا وفق معايير محددة وملائمة) **يتوزعها** فضاء يقترحه السارد من ثلاث مقاطع هي:

- **فضاء القبيلة**
- **فضاء القفري**
- **فضاء الخصب**

إذا المكان يستمد محولات من الدلالية من الحدث الذي فرح له الشاعر بمقابل شكل لنا جوا نفسيا معتمدا لدى الشعراء نتيجة النكبة التي أصابتهم وهنا تشتغل سيميائية المكان من تشكيل **الشعري المتشضي من انثيالات التكوين النفسي والاجتماعي الذي لازمه ملازمه وشيحة, وعلبه الاتحاد على المكان بوصفه باعثا شعريا تشكل من خلاله الشاعر وتكوينه الشعر الذي يقعدوا به قصدا لازما لمهينة المكان كونه يلتبس بذات الشاعر وكينونته** التي سعى الشاعر إلى إثباتها **جهارا ومن هنا كان المكان شاخصا** مائلا ليحقق الفكرة التي **أراد الشاعر بثها** وإيجادها يكون المكان في غناء يستشعر به الشاعر ذاته ووعيه الجمع الذي تغنى به الشاعر وأشاد.

نماذج من الوحدات السميائية الدالة على المكان لديوان عنتر بن شداد:

المكان الأول: هو مكان إقامة الشعر:

المكان أيقونه تشير إلى ما كان عليه الشاعر من حالة تناقض عبودية **ذل وحالة معاكسة من الحرية** والسيادة والفروسية وحب عبلة حيث كانت قريبة منه -ردحا آخر: يقول:

وأنا المجرِّبُ في المواطنِ كلّها*من آلِ عبسٍ منصبي وفعالي[1]**

منهمْ أبي حقّا فهمْ لي والدٌ*والأمُّ من حامٍ فهمْ أخوالي[2]**

يا دارَ عَبْلَةَ مِن مَشَارِقِ مَأْسَلِ*دَرَسَ الشؤونُ وَعَهْدُها لم يَنْجَلِ[3]**

فحرية عنتر تتوطن في قدرته على إثبات انتمائه مثله مثل بقية أفراد المجتمع فحرية الانتماء هي الغاية الأولى والأخيرة.

1 -الديوان مولودي، ص 336.

2 -الديوان مولودي, 366

3 -الديوان حمود، ص127

المكان الثاني: فهو الطبيعة من حوله (وانكان-احيانا-خارج أرض قومه)

والحديث هنا سينمائية ليست الحديث فيها منصور الذات عنترة [1]**وإنما هو إشارة** إلى **سعادته وحبه للحياة بعد أن أحب** عبلة ومكانها يقول:

أوْ روْضَةً أُنُفاً تضمَّنَ نبتَها*غيْثٌ قليلُ الدِّمن ليسَ بمَعْلَمِ[2]**

جادَت عَليهِ كُلُّ بكرٍ حُرَّةٍ*فَتَركَنَ كُلَّ قَرارَةٍ كَالدرهَمِ[3]**

وَخَلَا الذُّبابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ ***غَرِدًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ[4]

حيث وصف عنترة محبوبته وجمالها وشبه رائحتها رائحة المسك كما شبهها بالرياض التي لم ترعى **فيها المواشي بعد** خضرتها وجمالها وقد أمطرت على هذه الرياض أمطار متواصلة حتى تركت حفر من المياه كأنها دراهم في الاستدراتها وصفاتها وبياضها.

المكان الثالث: فهو ارض المعركة وهنا يستخدم الشاعر أنماط ودلالات أشارية متعددة كالاستعارة والكتابة والتشبيه حتى ينفر بها **الشاعر** إلى بعض المعالم الكونية **أو الاجتماعية أو النفسية** يقول:

شكا نَحْرُها منْ عِقدها متظلّما*فَواحَربا منْ ذلكَ النَّحْر والعقْدَ**

قَد أَطعُنُ الطَعنَةَ النَجلاءَ عَن عُرُضٍ*تصفَرُّ كَفُّ أَخيها وَهوَ مَنزوفُ**

تَنسى بَلائي إِذا ما غارَةٌ لَقِحَت*تَخرُجُ مِنها الطُوالاتُ السَراعيفُ**

يَخرُجنَ مِنها وَقَد بُلَّت رَحائِلُها*بِالماءِ يَركُضُها المُردُ الغَطاريفُ**

فهنا النحر والعرض والغارة و الرحائل كلها أيقونات لأرض معركة خاصة بالشاعر

1 - ينظر، نفسه ص 151.

2 - مرجع نفسه ص 196

3 - نفسه وينظر ص 196.

4 - شرح الديوان الطراد، ص 158

الخاتمة

لاشك أن للمكان حضورا قويا وفاعلا في النفس الإنسانية إذ يرتبط بوعي الإنساني منذ صغره فيختزن في ذاكرته أشياء كثيرة من العواطف والذكريات الايجابية والسلبية كما يختزن في مخيلته العديدة من الجزئيات الصغيرة الكبيرة كما أخذ الاهتمام بالمكان يزداد من طرف بعض المفكرين **كعلماء** النفس والاجتماع فتعددت بذلك فضائاته ووظائفه ومعانيه بالنسبة لصاحبه والآخرين ومن هنا جاء المكان كعنصر بارز في مطالع القصائد إذ هو الوعاء الذي يصب فيه مايحمله من مشاعر وأحاسيس فأصبح الشعر الجاهلي يعبر عن تجربة الشعر العربي العاطفية والوجدانية بمختلف **جوانبها النفسية والثقافية والدنية والاجتماعية .**

ومن ثم فإن البحث خلص إلى النتائج التالية نذكر منها مايلي:

- انتبه شعراء العصر الجاهلي إلى جمالية المكان أهميته وأولوه عناية خاصة في أشعارهم باعتباره الإرث الذي يمثل هوية الفرد والجماعة وقد سجلت المرأة حضورا ضافيا في المشهد الطللي.
- **لقد ظهر الإنسان الجاهلي على أنه إنسان مرن يعمل من خلال رؤيته وفلسفته للمكان على أن يصنع** نوعا من المرونة داخل البنية المعرفية للعقل العربي التي قد بدأت تتشكل قبل الإسلام ما يعنى قبول هذه البنية المعتقد الجديد .
- ارتباط البيئة المكانية عند الشعراء الجاهليين بالحالة الوجدانية للشاعر وهدا ما جعل الشاعر يعيش بين جانبين جانب داخلي تمثل في نفسيته و ما حملته من أحاسيس ومشاعر وجانب خارجي تمثل في الطبيعة و ما حملته من مظاهر وصور
- تعد البيئة الطبيعية شكلا من **أشكال التعلق بالقبيلة**
- **أثرت** البيئة المكانية في حياة الشاعر حسيا ومعنويا ومعرفيا
- المكان قوة فاعلة في تشكيل البناء الشعري وتشكيل **الذات الشاعرة**

ينهض المكان بتشكيل البناء الفكري والتكوين الاجتماعي والنفسي للنص بوصفه مقتربا **للعبور** إلى عوالم المتن الشعري

- استيعاب الشعر الجاهلي للظواهر الحياتية .
- لم يكن الفكر العربي بعيدا عن تفكير الإنسان القديم فأجل بعض الأماكن ومارس
- طقوسا تعبدية في حضرتها دلت على عظمة المكان في الحياة العربية .

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

الكتب

1. أحمد محمد الكوفي:الغزل في العصر الجاهلي ط2 مطبعة النهضة العربية 12شارع كامل صدقي القاهرة ،1961 .
2. أمل مفرح عابد:المكان في الشعر الجاهلي،عمان،الأردن،دط،1997 .
3. أحمد بن يحي أبو العباس:شرح ديوان زهير أبي سلمى القاهرة مطبعة ،الكتب المصرية 1994
4. أحمد درويش:في نقد الشعر "الكلمة والمهجر"،دار الشروق ط1، 1996 .
5. ابن المقبل:ديوانه،مكان النشر دمشق الناشر وزارة القافة والإرشاد1962.
6. إمرؤ القيس:الديوان تح:محمد إبراهيم
7. إحسان الديك صدى الأسطورة والأخر في الشعر الجاهلي ط1 ،مجمع اللغة العربية 2013
8. ابن رشد:نصوص ودراسات فلسفية (فصل المقال)،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر دط، 1982 .
9. ابن سينا:نظرية المكان،الزمان والمكان الفكر الديني القديم دار الشؤون الثقافية العامة 1987
10. النابغة الذبياني:ديوانه الناشر دار المعارف ،ط2،1991 .1443 هـ.
11. العدواني ذو الأصبع:ديوانه،جمع وتحقيق عبد الوهاب العدواني مطبعة الجمهورية الوصل 1973.
12. العبدي،المثقف ق هـ 37/29 .
13. التبريزي شرح المعلقات السبع ، تحقيق محمد محي الدين،مكتبة محمد علي صبيح و أولاده بميدان الأزهر بمصر ،502/421.
14. الحارث بن حلزة :ديوانه ،المحقق : اميل بديع يعقوب ،الناشر دار الكتاب العربي ،1991/1411.

15. الأعشي51 /15، 286 .
16. بشلار غاستون:جمالية المكان،ترجمة المكان ،وترجمة غالب هلساط2،المؤسسة الجانعة للدراسات والنشر لبنان د ط 1984 .
17. باديس فوغالي الزمان والمكان في الشعر الجاهلي تاريخ النشر 2008 .
18. جوريدي المنصوري:شاعرية المكان،ط1،دار العلم للطباعة والنشر السعودية 1992 .
19. طنوس وهيب:الوطن في الشعر العربي،منشورات جامعة حلب 1979،326 .
20. طرفة بن العبد :ديوانه،منشورات محمد على بيضون، ط2 دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
21. يوسف اليوسف :مقالات في الشعر الجاهلي،دار النشر ط1 1985 .
22. يوسف الخليف:دراسات في الشعر الجاهلي ط1 دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع مصر القاهرة 1981 .
23. يحي الجبوري:الشعر الجاهلي خصائصه فنونه،ط6 منشورات جامعة فانيونس،بنغازي ليبيا 1993 .
24. كمال عبد ربه حمدان الجبوري:الطير ودلالاته في البنية الفية والموضوعية للشعر العربي قبل الإسلام ،دار الينابيع ط1،دمشق 2010 .
25. ملودي الديوان
26. محمد عبد المطلب:قراءة ثانية شعر أمرؤ القيس،الشركة المصرية العالمية ،لونجمان ط1،مصر 1996 .
27. مفيد محمد قميح:شرح المعلقات السبع،ط5 دار الفكر اللبناني بيروت 2002 .
28. محمود شكري الألوسي:بلوغ الإرب في معرفة أحول العرب ج2 .1342 .
29. محمد حسين:أساليب الصناعة في الشعر الخمر والناقة،دار النهضة العربية للطباعة بيروت 1972.

30. منى يشلم: دراسة سيميائية سردية في ديوان زهير ابن أبي سلمى ضمن كتاب النص الشعري قراءة تطبيقية .

31. محمد بلوحي:آليات النقد العربي الحديث،في مقاربة الشعر الجاهل يبحث في تجليات القراءة السياقية منشورات اتحاه الكتاب العرب دمشق 2004 .

32. مرتاض عبد المالك: السبع المعلقات مقاربة السيميائية الأنثربولوجيا .

33. محمد عبيد صالح السبهان:المكان في الشعر الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة دار الأفاق العربية ط1،القاهرة 2007 .

34. نوري حمودي القيسي:الطبيعة في الشعر الجاهلي ط1 النشر لبنان1390،1970 .

35. نجيب الحصادي: قضايا الفلسفة العامة ومباحثها،ط1، دار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان2002 .

36. نعمة محمد إبراهيم:نظرية المكان في فلسفة ابن الهيثم،مجلة أداء المستنصرية ،ط12 ،1985

37. نجم الدلمي: المكان في النص المسرحي،ط1، دار الكندي للنشر1999 .

38. عمربن عبد العزيز السيف:بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية ،الأسطورة والرمز مؤسسة الانتشار العربي ط1 ،لبنان 2009 .

39. عبد العزيز سالم:تاريخ العرب قبل الإسلام،الناشر مؤسسة الشباب الجامعة الإسكندرية،بدون .

40. عبد الرحمان المصطفاوي: الكندي إمرؤو القيس حجر بن حارث ط2،دار المعرفة بيروت لبنان2004 .

41. علاء الدين محمود:شعرية الصحراء عن صحيفة الخليج في 25ديسمبر،2018 .

42. عبد العظيم قناوي:الوصف في الشعر العربي مكان النشر مصر،الناشر شركة المكتبة والمطبعة تاريخ النشر 1368 .

43. علي حداد:المكان عن ذاكرة الطفولة(قراءة في الابهار والدهشة)،ط1مطبع دماج2009 .

44. عبد الرحمان مصري:الصورة الفنية في ضوء النقد الحديث .

45. **عبيدي مهدي:**جماليات المكان في ثلاثية حن مينا ،ط1،الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق وزارة الثقافة 2011 .

46. **فاعور علي حسن:**ديوان زهور بن أبي سلمي،ط1،الناشر دار الكتب العلمية ،1988،1408 .

47. فيصل الشعري:تطور شعر غزل بين الجاهلية والإسلام الناشر مطبعة جامعة دمشق،05سبتمبر 2014 .

48. **فهد حسين:** المكان في الرواية البحرينية،ط1،فرادسي للنشر والتوزيع،البحرين 2003 .

49. قاسم سيزا:جماليات المكان دارط1 العرب والنشر والتوزيع الدار البيضاء ت 09 71 31 2002 .

50. حسين عبد الله:خصوبة القصيدة الجاهلية دار الفكر العربي،د ت للطباعة والنشر 1985

51. حسن جبارة محمد شمسي: ملامح الرمز في الغزل العربي القديم،دار السياب 2008 .

52. **حسان بن ثابت:** ديوانه شرح البرقوقي،ط2،مطبعة الرحمانية بيروت لبنان 1994،1414

53. **حسن مسكين:** الخطاب الشعري الجاهلي ناشر المركز الثقافي العربي 2002 .

54. **حسين عطوان** : الشعر في خرسان من الفتح حتى نهاية العصر الأموي،ط2،دار الجير بيروت لبنان .

55. **حبيب مونسي:**المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتي الجمالية،دراسة منشورات أنجاد الكتاب العرب دمشق 2001 .

56. سميرة سلامي: الاغتراب في الشعر العباسي القرن الرابع الهجري،ط1،دار الينابيع دمشق سورية 2005 .

الرسائل الجامعية

1. طه غالب عبد الرحيم : صورة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات،رسالة الدكتوراه إشراف إحسان الديك جامعة نابلس فلسطين 2003 .

2. محمد المزايدة ضيف الله:الصورة الفنية في الشعر الجاهلي رسالة الدكتوراه في أدب اللغة العربية وأدابها جامعة مؤتتة 2016 .

3. رجاء لازم رمضان:الصبر والجزع بين المثير والاستجابة في شعر ماقبل الإسلام رسالة الدكتوراه كلية الأداب جامعة بغداد 2004 .

4. محمد صالح الخرفي:دلالات المكان في الشعر الجاهلي المعاصر رسالة الدكتوراه إشراف الشيخ صالح جامعة قسنطينة 2006/2005 .

الفهرس

الإهداء	
الشكر وعرفان	
مقدمة	أ
مدخل :المفاهيم الجمالية للمكان	
المكان في الفكر الفلسفي	06
المكان في الشعر	08
المكان وأنواعه	10
الفصل الأول :الوعي بالمكان في الشعر الجاهلي	
المبحث الأول:علاقة المكان بالإنسان	15
المطلب الأول:أمكنة المكان في الشعر الجاهلي	15
المطلب الثاني:فضاء المكان في الشعر الجاهلي	19
المطلب الثالث:فلسفة المكان وعلاقتها بثقافة الشاعر	26
المطلب الرابع:الشعر الجاهلي ورمزية الطلل	27
الفصل الثاني:المكان بين الحضور والغياب في الشعر القديم	
المبحث الأول: الصورة المكانية في الشعر الجاهلي	33
المطلب الأول:المكان والاغتراب النفسي	33
المطلب الثاني :الدلالة الرمزية والإيحائية للأمكنة	36
المطلب الثالث:تجليات الأمكنة في الشعر الجاهلي	48
المطلب الرابع سيميائية المكان في الشعر الجاهلي	56
الخاتمة	62
قائمة المصادر والمراجع	66